# أجاثا كريستي

## الرّهان الخاسِر

دار النجمة للنشر والتوزيع

# الرِّهان الخاسر

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

# الرِّهان الخاسر

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

# الفصل الأول

## -١-

ما من ناد يخلو من ثرثار متطرف يحاول أن يجتذب أنظار الرواد إليه بثرثرته، ولم يكُن نادي كورونيشن ليشذّ عن هذه القاعدة، ورغم الغارة الجوية فقد أخذ الميجور بورتر الضابط السابق بالجيش الهندي ينظر إلى وجوه مَن حوله، ثم طوى صحيفته وبدأ ثرثرته قائلاً: رأيي أنّ خبر وفاة جوردون كلود قد وصل إلى جريدة التايمز، ولكنهم لم يذكروا تفصيلات الحادث، بل اكتفوا بقولهم إن موته حدث في اليوم الخامس من شهر أكتوبر وإنه نتيجة لنشاط العدو، ولم يذكروا عنوانه. ولكنني أعرف أين كان يقطن، فمنزله الفاخر في كامبدن هيل يقع قريباً من منزلي. كم هزّتني هذه الصدمة! فأنا كما تعلمون مراقب غارات، وليس هذا فقط بل لم يصل كلود من الولايات المتحدة إلى إنكلترا إلا منذ زمن قريب، فقد أوفدَته الحكومة لشراء بعض المهمات، وقد علمت أنه تزوج هناك أرملة شابة اسمها السيدة أندرهاي، والغريب في الأمر أنني كنت قد تعرفت إلى زوجها الأول في نيجيريا.

ثم توقف الميجور بورتر قليلاً وتلفّت حوله، ولكن أحداً

لم يهتم لما يقوله، ولكن ذلك لم يكُن ليؤثّر فيه فتابع: وكما قلتُ لكم أنا مراقب غارات، وقد كان انفجاراً عجيباً ذلك الذي دمّر الطابق الأرضي وأطاح بسقف المنزل، ولكن الطابق الأول لم يُمَس بسوء. كان في المنزل وقت الانفجار ستة أشخاص: ثلاثة من الخدم، رجل وفتاتان، ثم جوردون كلود وزوجته وأخوها، وكانوا جميعاً في الطابق الأرضي سوى أخي الزوجة، وهو من رجال العمليات الخاصة الفدائيين السابقين، فقد فضّل أن يبقى في فراشه بالطابق الأول، فماذا حدث؟ لقد نجا من الانفجار إلا من بعض جروح بسيطة، وأما الخدم فقد قُتلوا جميعاً، كما دُفن جوردون كلود تحت الأنقاض. وعندما أخرجوه كانت الحياة لا تزال تدبّ في جسده، ولكنه مات في طريقه إلى المستشفى، وأما الزوجة الشابة فقد أُخرجت من تحت الأنقاض، ورغم أنها لم تُصَب بسوء إلا أن الصدمة أثرت في أعصابها، ولكنهم يعتقدون أنها سوف تصبح على ما يرام، وسوف تصبح أغنى أرملة فسترث ثروة زوجها جوردون التي تربو على المليون من الجنيهات.

وللمرة الثانية توقف الميجور بورتر عن الحديث لينظر إلى من حوله، فوقع نظره على رجل ذي رأس أشبه بالبيضة وشاربَين طويلين يرتدي بنطالاً مخطّطاً وسترة سوداء، فقال محدثاً نفسه: حقاً لا أدري ماذا حدث للنادي، حتى مكان كهذا لم يخلُ من الأجانب!

ولم يقلل من حدة استياء الميجور بورتر أن ذلك الرجل كان يصغي إلى حديثه باهتمام، فقد حدجه بنظرة اشمئزاز ثم عاد يتابع حديثه: ومع أنها لم تتعدَّ الخامسة والعشرين من عمرها فقد ترمّلت مرتين، أو هذا على الأقل ما تعتقده هي، فأنا كما قلت

لكم كنت أعرف زوجها الأول أندرهاي. لقد كان رجلاً لطيفاً، وكان مبعوث الحكومة في نيجيريا في وقت من الأوقات، وقد التقى بتلك الفتاة في مدينة الكاب. ولكنني أعرف الكثير عنها، فقد أخبرني أندرهاي بما حدث. لقد أُعجب بجمالها وأخذته الشفقة عليها، ولما وجد تشجيعاً منها تزوجها، ورغم تعلقه بها إلا أن زواجهما فشل، فقد كانت تكره الأحراش وتتهيّب رجال القبائل، فما كان منه إلا أن أعادها إلى أهلها ووافق على أن يطلقها. لقد التقيت به بعد ذلك فأخبرني بالأمر وأضاف أنه لا ينوي أن يطلّقها، بل سيمنحها حريتها بطريقة أخرى، فأخذت أنصحه لأنني خشيت أن يُقدِم على حماقة، ولكنه قال: أنا رجل وحيد في هذا العالَم، فلا أهل لي ولا أقارب، فلو أن خبر وفاتي أُذيع فسوف تصبح روزالين أرملة، وهو ما تطلبه. فقلتُ متسائلاً: وماذا عنك؟ فقال: حسناً، لقد يظهر شخص باسم أينوك آردن على بُعد ألف ميل من هنا ليبدأ حياته هناك. فقلت محذّراً: قد يضعها ذلك في مأزق حرِج في يوم من الأيام. ولكنه قال: كن مطمئناً؛ فلن يعود روبرت أندرهاي إلى الحياة ثانية.

وتابع الميجور بورتر حديثه فقال: ولم أُعطِ للأمر أهمية في ذلك الحين، ولكن لم تمض ستة شهور حتى بلغني أن أندرهاي مات بالحُمّى في بعض الأَحراش، وقد قام أتباعه من الأهالي بإبلاغ هذا الخبر إلى السلطات، وكانت معهم رسالة من أندرهاي بخط يده يقول فيها إنهم بذلوا ما في وسعهم وإنه يشعر بأن نهايته قد قربت. وكما ترون فقد يكون أندرهاي قد دُفن حقاً في جهة ما بوسط إفريقيا، وقد لا يكون، وعلى ذلك فقد تتلقّى السيدة جوردون كلود صدمة قاسية يوماً ما. وأقول إنها تستحقها؛ فقد حطمت حياة أندرهاي، أما قلت لكم إنها قصة مأساوية؟

ولكي يتأكد من صحة قوله أخذ ينظر إلى وجوه من حوله، ولكنه لاحظ علامات الاستياء مرتسمة على وجوه الحاضرين إلا السيد هيركيول بوارو الذي كان يعطي حديثه الكثير من اهتمامه، وزميله الشاب السيد ميلون. وقد استرعى انتباه الحاضرين صوت صحيفة تُطوى على عجل، وإذا برجل أشيب يغادر مكانه بجوار المدفأة، وفي الحال تدلّى فك الميجور بورتر في حين قال السيد ميلون معقّباً: لقد وقعتَ في شر أعمالك. أتدري من هذا؟

فقال الميجور بورتر باضطراب: يا إلهي! أليس هذا جيريمي كلود أخو جوردون كلود؟ يا للحظ العاثر! لو أنني علمت أنه...

فقاطعه السيد ميلون الشاب قائلاً: إنه محام، وسوف يقاضيك بتهمة السبّ العلني أو ما شابه ذلك.

وأخذ الميجور بورتر يردّد باضطراب: يا للحظ العاثر، يا للحظ العاثر!

وعاد السيد ميلون يقول: وسوف يُشاع الخبر الليلة في وارمسلي هيث حيث يعيش آل كلود، وسوف يقضون ليلتهم يدبّرون ما ينوون عمله.

وفي تلك اللحظة دوّى صوت صفارة الأمان، فتأبط السيد ميلون ذراع صديقه هيركيول بوارو وغادرا المكان. كان ذلك في خريف عام ١٩٤٤، وبعد ذلك بنحو عامَين في أواخر ربيع ١٩٤٦ استقبل هيركيول بوارو زائرة مجهولة.

## -٢-

كان هيركيول بوارو يجلس إلى مكتبه في صباح أحد الأيام من شهر مايو عندما تقدم منه خادمه جورج وهمهم قائلاً: هناك سيدة تريد أن تراك يا سيدي.

فسأله بوارو بحذر: وكيف تبدو؟

- تبلغ الخمسين على حد تقديري ترتدي ثوباً من قطعتين و بلوزة من الحرير، وحول عنقها عقد من تلك العقود المصرية.

فقال بوارو على الفور: لا أظن أنني أريد مقابلتها.

- هل أخبرها بأنك لن تستطيع مقابلتها يا سيدي؟

- يبدو لي أنك أخبرتها بأنني مشغول.

- أجل يا سيدي، ولكنها أخبرتني بأنها أتت من الريف وأن في وسعها أن تنتظر.

فتنهد بوارو قائلاً: الإنسان لا يمكن أن يفر مما لا مفر منه، فهذه السيدة قد أتت من الريف وقد عزمَت على أن تراني، ولن يمنعها شيء حتى ولو اضطُرت لأن تبقى مهما طال بها ذلك. حسناً يا جورج، دعها تدخل.

وخرج جورج ثم عاد بعد قليل ليعلن قائلاً: السيدة كلود.

تقدمت السيدة نحو بوارو وهي تمد يدها وتقول: السيد بوارو. لقد حضرت إليك بإيعاز من الأرواح.

وكانت رعدة خفيفة قال بعدها بوارو: بالتأكيد يا سيدتي. والآن أرجو أن تجلسي وتخبريني.

ولم يزد على ذلك حتى اندفعَت تقول: حدث ذلك في مساء أمس الأول، وكنتُ حاضرة في جلسة لتحضير الأرواح عند السيدة أيلفاري، فتلقينا رسالة من العالَم الآخَر، وكانت الرسالة عبارة عن حرفين «هـ» و«ب» ثلاث مرات، وبطبيعة الحال لم أفهم مدلول الرسالة في بادئ الأمر، فهذا كما تعلم يستغرق بعض الوقت والإنسان في هذا العالَم لا يستطيع أن يرى بوضوح. وقد أعملتُ ذاكرتي بحثاً عن اسم يبدأ بهذين الحرفين، وأنا واثقة من أن هذا الاسم يجب أن تكون له علاقة بالجلسة السابقة، ولكنني لم أهتد. ولا أدري ما الذي حدا بي إلى شراء عدد من مجلة بيكتشر بوست، ولا بد أنه كان من هدى الأرواح كذلك فأنا لا أبتاع هذه المجلة مطلقاً، وما كدتُ أن أقلب صفحاتها حتى وجدتُ صورة لك مذيلة عنك وعن أعمالك، وفي الحال علمتُ أن لكل شيء سبباً، فما كنتُ لأهتدي إليك لو أنني لم أشتر تلك المجلة.

فأخذ بوارو يرمقها بنظرة فاحصة، فلفت نظره عيناها الزرقاوين غير المستقرتين فقال: والآن يا سيدة كلود...

وتوقف فجأة وقد قطب جبينه ثم تابع: سيدة كلود؟ هذا الاسم ليس غريباً عليّ. لقد سمعته من مدة.

- أجل؛ فلا بد أنك سمعتَ اسم جوردون كلود الذي قُتل في إحدى الغارات منذ أكثر من عام، مخلفاً وراءه ثروة طائلة، وهو الأخ الأصغر لزوجي الدكتور ليونيل الذي يعمل طبيباً.

ثم خفضت صوتها وتابعت: وبطبيعة الحال لا يعلم زوجي بأمر حضوري إليك لاستشارتك، فما كان ليوافق، فقد ثبت لي أن الأطباء ينظرون إلى الأشياء من الناحية المادية فقط ولا تحظى الناحية الروحية بشيء من تفكيرهم.

ولم يشأ هيركيول بوارو أن يدخل معها في مناقشات غير مجدية، فقد وجد أن الموضوع سيتطور، فقال يذكّرها: لديّ موعد هام في الثانية عشرة.

وكان لعبارته أثرها، فقد مالت السيدة كلود إلى الأمام وهي تقول: يجب أن أدخل في صميم الموضوع إذن. هل في استطاعتك أن تعثر على شخص مفقود يا سيد بوارو؟

فارتفع حاجبا بوارو دهشة وأجابها بحذر: قد يكون هذا ممكناً، ولكن رجال الشرطة أقدر مني في هذه الناحية كما تعلمين.

ولكن السيدة كلود قالت: لا يا سيد بوارو، فقد حضرت إليك بإيعاز ممن هم وراء الحجاب في العالم الآخَر، والآن أصغ إليّ. لقد تزوج جوردون أخو زوجي قبل وفاته بأسبوعين بأرملة شابة روزالين، السيدة أندرهاي، وقد مات زوجها الأول في إفريقيا، ذلك البلد العجيب.

فقال بوارو مصححاً: تلك القارة العجيبة، ولكن في أي جزء؟

- في أواسط إفريقيا حيث السحر والشعوذة، هناك حيث يختفي الرجال ولا يُسمع بهم بعد ذلك.

- هذا محتمَل، ولكن مثل هذا الشيء قد يحدث في ملهى بيكاديللي أيضاً.

ولم تعبأ السيدة كلود بقوله بل تابعت: وقد حدث في المرتين السابقتين أن تلقينا رسالة من روح ذكر اسمه على أنه روبرت، وقد تكررَت الرسالة مرتين، وكانت تقول: «لم يمت»، وقد تعجبنا فلم نكن نعرف أحداً باسم روبرت، فألححنا في السؤال فتلقينا الرسالة التالية: «ر. أ» ثم «أخبروا ر.». وقد تمكنا بعد جهد أن نحل رموز الرسالة فعلمنا أن المقصود بعبارة «ر. أ» هو روبرت أندرهاي، وأما الحرف «ر» فيرمز إلى روزالين زوجة روبرت أندرهاي سابقاً وأرملة جوردون كلود حالياً. ألا ترى أن تفسير الرسالة هو: «أخبروا روزالين بأن روبرت أندرهاي (زوجها الأول) لم يمت»؟

- أهكذا؟ وهل أخبرتِها؟

وفوجئت السيدة كلود بهذا السؤال، ولكنها قالت: حسناً، لا؛ فقد خشيت عليها. سوف يسبب لها هذا الخبر انزعاجاً وتظل تتساءل: أين هو؟ وماذا يفعل؟ ومن يدري، فقد يكون أندرهاي المسكين أسيراً في جهة ما من مجاهل إفريقيا. تصور يا سيد بورو لو أننا تمكنا من العثور عليه وإعادته لزوجته العزيزة روزالين. تصور كم تكون سعادتها! ولا تنسَ شيئاً يا سيد بوارو، وهو أنني قد أُرسلتُ إليك، ولا إخالك بأي حال من الأحوال ترفض أوامر عالَم الأرواح.

فأخذ بوارو يرمقها بنظراته في تفكير ثم قال: ولكن أتعابي باهظة جداً، كما أنها ليست بالمهمة السهلة.

– إن هذا لمن سوء الحظ حقاً، فأنا وزوجي في حالة يرثى لها. ولكن مصيبتي أدهى من مصيبة زوجي فقد ابتعت بعض الأسهم بإرشاد الأرواح ولكن قيمتها هبطت بدرجة فظيعة حتى إنها لم تعد صالحة للبيع.

ثم أضافت وهي تنظر إليه بعينيها الزرقاوين وقد بدا عليها الاستياء: ولم أتمكن من إخبار زوجي بذلك، وما أخبرتك إلا لتعرف موقفي من الناحية المالية. ولكن لا تنسَ يا سيد بوارو أن مهمة الجمع بين زوج مفقود وبين زوجته هي مهمة نبيلة.

– النبل يا سيدتي لن يدفع لي أجر الباخرة والقطار وتنقلاتي بالطائرة، ولا حتى مصاريف البرقيات وما إلى ذلك.

– ولكن لو أنك تمكنت من العثور على أندرهاي حياً فلن تكون هناك صعوبة في دفع الأتعاب.

– أندرهاي رجل ثري إذن؟

– أؤكد لك أنه لن تكون هناك صعوبة من الناحية المالية.

فهز بوارو رأسه ببطء قائلاً: أنا آسف يا سيدتي، فجوابي هو بالنفي.

بقي بوارو بعد أن تركته غارقاً في أفكاره، وبدأت ذاكرته تعود به إلى تلك الليلة التي حدثَت فيها الغارة في أثناء وجوده في النادي، ثم ثرثرة الميجور بورتر التي لم يعرها أحد من الحاضرين أهمية سواه وحديثه عن روزالين وزوجها الأول روبرت أندرهاي، ثم عن زوجها الثاني جوردون كلود وما حدث بعد ذلك من مغادرة جيريمي كلود الذي لم يكُن الميجور بورتر يعلم

بوجوده للمكان، وأخيراً قال بوارو يحدث نفسه: ولكن لماذا حضرت إليّ؟ وماذا يا تُرى يحدث في وارمسلي فيل الآن؟

ولم يمضِ على تلك الزيارة خمسة أيام حتى قرأ في إحدى صحف المساَء خبر مقتل رجل يُدعى أينوك آردن في قرية وارمسلي فيل التي تبعد ثلاثة كيلو مترات عن ملاعب الغولف المشهورة في وارمسلي هيث. وللمرة الثانية أخذ هيركيول بوارو يقول لنفسه: يا للعجب! ماذا يحدث في وارمسلي فيل؟!

* * *

# الفصل الثاني

## -١-

تتكون وارمسلي هيث من ملعب للغولف وفندق وبعض الفيلات الحديثة الأنيقة وصف من المحال التجارية كانت قبل الحرب من المحال الفخمة، وأخيراً محطة السكك الحديدية. وما إن تغادر المحطة حتى يقابلك إلى اليسار طريق ممهد يقود إلى لندن وإلى اليمين درب ضيق عبر الحقول تقوم في بدايته لافتة كُتب عليها «طريق المشاة إلى وارمسلي فيل». وكانت وارمسلي فيل لا تعدو قرية صغيرة، شارعها الرئيسي تقوم على جانبيه منازل عتيقة وبعض المحال العامة وبضعة متاجر قديمة، في حين أنها لم تكُن لتبعد عن لندن أكثر من ثمانية وعشرين ميلاً، وفي ضواحيها كانت تقوم بعض البيوت الجميلة تحيط بكلٍّ حديقتُه، وإلى أحد تلك البيوت وهو «البيت الأبيض» عادت لين مارشمونت في مستهل ربيع عام ١٩٤٦ بعد تسريحها من خدمة الجيش.

وفي صباح اليوم الثالث لوصول لين وقفت في نافذة حجرة نومها تنظر إلى الأشجار البعيدة وتنعم بهواء الريف الذي حُرمته طوال السنتين والنصف التي قضتها في الخدمة عبر البحار، وقد

تملكتها نشوة من السعادة لعودتها إلى الأرض الحبيبة إلى قلبها وإلى أمها التي طالما تاقت لرؤيتها حين كانت بعيدة عن وطنها، وأما وقد عادت إلى البيت الأبيض فقد أخذت تشعر بشيء من عدم الاستقرار، فكل شيء كما تركته. أجل، كما تركته تماماً: البيت وأمها ورولي والحقل، وكذا بقية أفراد العائلة، ولكن الشيء الذي تغير ولم يكُن يجب أن يتغير هو نفسها.

وفي تلك اللحظة سمعت صوت أمها السيدة شمونت تنادي قائلة: هل أُحضر لفتاتي طعام إفطارها في الفراش؟

فاستاءت لين لقولها «فتاتي» وأجابت بحدّة: لا بالطبع، سأهبط في الحال.

لم يكُن الإفطار شهياً. ولا عجب فقد هبط الدخل الذي كانا يعيشان منه إلى النصف نظراً لكثرة الضرائب، وليس هذا فقط فقد ارتفعت أسعار الحاجات أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب. وتناولت لين جريدة الصباح تتصفحها فوقع نظرها على إعلانات طلب وظائف من فتيات كُنّ في خدمة الجيش قرأته بسرعة في غير اكتراث، فقد كان الطريق أمامها واضحاً، فهي سوف تتزوج ابن عمها رولي كلود الذي خطبها لنفسه منذ سبع سنوات، قبل أن تندلع الحرب بقليل، وستحيا معه حياة الحقل التي ارتضتها له، تلك الحياة الهادئة البعيدة عن الصخب. حقاً أن الأمور قد تغيرت بعد ما حدث لعمها جوردون كلود.

وقطع حبلَ تفكيرها صوتُ السيدة مارشمونت تقول: لقد كانت صدمة قاسية لنا جميعاً يا عزيزتي لين كما ذكرتُ لك في خطابي، فلم يكُن قد مضى على عودة جوردون إلى إنكلترا غير

يومين، ولم يكُن أحد منا قد تمكن من رؤيته بعد. آه، لو أنه لم يبقَ في لندن، لو أنه حضر من فوره إلى هنا!

- أجل، لو أنه...

لقد كانت صدمة قاسية للين عندما علمَت بموت خالها في أثناء الغارة، ولكنها لم تتبين الأثر الذي سيتركه موته إلا الآن، فقد كان خالها جوردون كلود رجلاً واسع الثراء لا أولاد له، وكان الجميع يعتمدون عليه، وقد عمل رولي بالزراعة هو وشريكه جوني فافاسور برأس مال ضئيل، وكانا يعملان بجد ونشاط يحدوهما الأمل، فقد كان جوردون ينوي أن يمدهما بالمال اللازم عندما تثبت له كفاءتهما. أجل، لقد كان جوردون كلود معقد أمل جميع أفراد الأسرة، لا لأن أحداً منهم كان عاطلاً، فهناك أخوه جيريمي كلود وهو محام قدير، وأخوه الآخَر ليونيل كلود الطبيب، بل لأن ثروة جوردون كانت تطمئنهم إلى مستقبلهم دائماً، ومن ثَم لم يعمل أحد منهم حساباً لغده.

وأما أخته الأرملة أديلا مارشمونت فقد بقيَت في البيت الأبيض حين كان يجب أن تنتقل إلى بيت أقل كلفة استناداً إلى المعونة المالية التي كانت تصلها منه، ولم تقتصر معونته على ذلك بل هي التي أدخلت لين مدارس الدرجة الأولى، ولولا الحرب لتمكنت من التخصص في أي علم مهما بلغت التكاليف. لقد كانت عائلة كلود تعيش سعيدة بحاضرها تتطلع إلى المستقبل الباسم حتى فوجئت بزواج جوردون كلود غير المنتظر.

قالت أديلا موجهة حديثها إلى ابنتها لين: لقد ذُهلنا حقاً يا

عزيزتي، فقد كان آخِر ما يخطر ببالنا أن يتزوج جوردون.

فسألتها لين بشوق: وكيف التقى بزوجته الثانية هذه؟ أنتِ لم تذكري شيئاً عن ذلك في خطاباتك.

- لا أعرف تماماً، ربما على ظهر السفينة أو في الطائرة التي أقلتهما من أمريكا الجنوبية إلى نيويورك.

وعادت لين تسألها: لا بد وأنها جميلة، أليس كذلك؟

- حسناً يا عزيزتي، إنها ليست كذلك في نظري، كما أنها ليست سيدة.

- يا له من تعبير يا أماه! ولكن ما أهمية ذلك في هذه الأيام؟

- لهذا أهمية كبيرة في الريف يا عزيزتي. ولكن رغم أنها ليست منا فقد كنا نعاملها معاملة طيبة ورضينا أن نستضيفها بيننا، وكل ذلك من أجل جوردون طبعاً.

- لا بد أنها هي تعيش في منزل «فاروبانك» إذن؟

- أجل، فبطبيعة الحال ليس هناك مكان أصلح لها بعد تلك الصدمة القاسية التي حلت بها في لندن، وهي تعيش في فاروبانك الآن مع أخيها.

- وكيف يبدو؟

فقالت السيدة مارشمونت بحدة: إنه شاب وقح.

- وما اسمه؟

- هنتر... دافيد هنتر، وهو أيرلندي على ما أعتقد. ولكن ما

نعجب له هو كيف تزوج جوردون بعد تلك السنين الطويلة!

- الإنسان لا يستطيع أن يقاوم إلى الأبد.

- أنت على حق، ولكنها كانت صدمة قاسية عندما تلقينا خطابه الذي أرسله من نيويورك.

- وما نص الخطاب؟

- لقد وجه خطابه إلى فرنسيس، ولا أدري لماذا، ربما لأن تنشئتها تجعلها أكثر تقديراً لمثل هذه الأشياء. وقد قال في خطابه إننا عندما نعلم بخبر زواجه سوف يكون مفاجئاً، ولكنه متأكد من أننا سوف نُعجب بزوجته روزالين، فقد قاست كثيراً في حياتها رغم أنها لا تزال في مستهل الشباب، ورغم ما قاسته فقد صمدَت للحياة.

- القصة المعروفة.

- أجل، وقد سمعتُها أكثر من مرة، ولكنني لم أكن أعتقد أن شخصاً له تجارب جوردون... حقاً لها عينان واسعتان داكنتا الزرقة ولكن...

فقاطعتها لين قائلة: أهي جذابة؟

- نعم، إلى حد كبير، ولكن جمالها من النوع الذي لا يعجبني.

فابتسمت لين بخبث وقالت: لا بد أنه كذلك.

- ولكن الرجال هكذا دائماً، وكثيراً ما يُقدِم المتزنون منهم على حماقات وأعمال سخيفة. لنعد إلى الخطاب حيث يقول

جوردون في نهايته إنه لا يجب أن نفكر لحظة واحدة في أن الزواج سوف يؤثر في علاقته بنا.

- ولكنه لم يكتب وصية بعد زواجه؟

فقالت السيدة مارشمونت وهي تحرك رأسها: لقد كانت آخِر وصية له في عام ١٩٤٠، وقد ترك فيها لكل منا ما يكفل له حياة رغدة، ولكن تلك الوصية أصبحت لا قيمة لها بعد زواجه. وكان يجب أن يكتب وصية جديدة عندما يعود إلى وطنه ولكن القدر لم يمهله، فقد قُتل في اليوم التالي لوصوله إلى لندن.

- وهكذا يؤول كل شيء إلى روزالين، أليس كذلك؟

- بلى، سيؤول إليها كل شي؛ فكما قلتُ لكِ قد أصبحَت وصيته الأخيرة لا قيمة لها بعد زواجه.

وصمتت لين وقد شعرت باستياء لهذا الوضع الجديد، فبعد أن كانت ثروة عمها الضخمة ستؤول إلى إخوته وأقاربه أصبحت بين عشية وضحاها ملكاً للزوجة الجديدة. وكانت لين واثقة أن هذا الوضع لم يكُن ليرضي خالها الراحل جوردون كلود نفسه، فلو أنه عاش قليلاً لكتب معظم ثروته لزوجته على أن يوزع الباقي على أفراد الأسرة بما يكفل لهم حياة رغدة، تلك الأسرة التي شجّعها بنفسه على أن تعتمد عليه، فكثيراً ما كان ينهاهم عن الاقتصاد ويطلب منهم ألاّ يفكروا في المستقبل. وقد سمعَته مرة يقول لأخيه جيريمي: "سوف تصبح رجلاً ثرياً عندما أموت"، وأما أمها فكثيراً ما كان يقول لها : "اطمئني يا أديلا، سوف أعنى بتربية لين وأنت تعرفين ذلك، وليس هناك داع لأن تتركي هذا البيت فهو بيتك، فأرسلي لي كل الفواتير المتعلقة

بالترميم"، وأما رولي فقد شجعه على أن يكون مزارعاً، كما أصرّ على إلحاق أنتوني ابن جيريمي بالحرس الملكي وكان يرسل إليه مبلغاً شهرياً كبيراً، أما أخوه الآخَر ليونيل كلود فقد شجعه على أن يقوم ببعض الأبحاث الطبية التي لم تكُن تدرّ عليه ربحاً، بل وتعطل عليه المكسب.

وخرجت لين من تفكيرها على صوت أمها السيدة مارشمونت وهي تقول باكية وقد أمسكت برزمة من الفواتير المستحقة الدفع: انظري إلى هذا. ماذا أنا فاعلة الآن؟ خبريني بربك ماذا أفعل يا لين؟ لقد أرسل لي مدير البنك هذا الصباح يخبرني بأن رصيدي قد نفد. لا أدري كيف فأنا أنفق بحذر، ولكنها الضرائب الباهظة.

فتناولت لين الفواتير وألقَت عليها نظرة، لم يكُن فيها شيء من التبذير، فقد كانت مطالبات بإصلاحات تمت في السقف وسور الحديقة وشراء بعض لوازم للمنزل ولكنها في مجموعها كانت مبلغاً كبيراً.

قالت السيدة مارشمونت بحزن: أعتقد أنه يجب أن أترك هذا المنزل، ولكن أين أذهب؟ فليست هناك منازل صغيرة أستطيع استئجار أحدها. وما كان بودي أن أطلعك على هذه الأشياء يا لين، ولكنني لا أدري ماذا أفعل.

ونظرت إلى أمها. لقد كانت في الستين من عمرها الآن، ورغم أنها كانت ضعيفة ولكنها كانت تستقبل المهاجرين من لندن في أثناء الحرب وتقوم على خدمتهم. ليس هذا فقط، بل كانت تساعد في عمل المربيات وإعداد وجبات طلبة المدارس،

وكانت تعمل أربع عشرة ساعة في اليوم مما زاد صحتها سوءاً على سوء حتى أصبحَت على وشك الانهيار، فقد أصبحت فجأة منهوكة القوى تخشى المستقبل. وتملّك لين الغضب فقالت ببطء: ألا تستطيع روزالين هذه أن تساعدنا؟

واندفعت الدماء إلى وجه السيدة مارشمونت وهي تقول: ليس لنا الحق في شيء مطلقاً.

- أظن أن لكِ حقاً مكتسباً، فقد كان خالي جوردون يساعدك دائماً.

فهزت السيدة مارشمونت رأسها ثم قالت: أن يطلب الإنسان المعونة من شخص لا يميل إليه فهذا ثقيل على النفس يا عزيزتي، وعلى كل حال فلن يسمح لها أخوها أن تنزل لأحد عن بنس واحد.

ثم أضافت بتهكم: هذا إذا كان أخاها حقاً.

-٢-

جلست فرنسيس كلود تنظر إلى زوجها عبر مائدة العشاء. كانت امرأة في الثامنة والأربعين من العمر ذات قوام نحيل تكسو وجهها مسحة من الجمال الطبيعي الذي لم تمسه المساحيق إلا قليلاً من أحمر الشفاه، أما زوجها جيريمي كلود فكان رجلاً أشيب الشعر في الثالثة والستين من العمر ذا وجه جامد غير معبر. وكان في تلك الأمسية أكثر جموداً عن ذي قبل، وقد لاحظت زوجته ذلك في نظرة خاطفة.

وفي تلك اللحظة مرت بخاطرها ذكرى الماضي. لقد كانت فرنسيس الابنة الوحيدة للورد ادوارد ترنتون الذي كان يقوم بتدريب جياده بالقرب من وارمسلي هيث، ولكن جياده فشلَت في السباق فأشهر إفلاسه، وكان من الممكن أن تسوء الأمور أكثر من ذلك لولا أن تمكن من الوصول إلى اتفاق مع دائنيه يسمح له بأن يعيش مكرماً في جنوب فرنسا. ويرجع الفضل في ذلك كله إلى محاميه جيريمي كلود الذي أخذ على نفسه تقديم الضمانات الكافية للدائنين، وفي الوقت ذاته شعر اللورد ترنتون بإعجاب المحامي بابنته فرنسيس، حتى إذا ما تمكن اللورد من إصلاح أحواله أصبحت فرنسيس السيدة جيريمي كلود. ولكن لم يعرف أحد رأيها في هذا الزواج، وكل ما يمكن أن يقال إنها كانت زوجة وفية وأماً رؤوماً لابنهما أنتوني.

وانتهى العشاء وكل غارق في أفكاره، ثم انتقلا إلى حجرة تطل على الحديقة حيث وافتهما الخادمة بقدحين من القهوة. واستندت فرنسيس برأسها إلى مسند مقعدها وأخذت ترقب زوجها الذي لم يكُن يشعر بنظراتها، وأخذ يمر بيده على شفته العليا. كانت حركة لاشعورية ولكن مغزاها لم يفت فرنسيس، فقد كانت دليلاً على ثورة نفسية. وقد لاحظتها زوجته من قبل عندما كانت ابنهما في أشد حالات المرض، وكما شاهدتها مرة ثانية عندما أُعلنت الحرب، وأخيراً عندما سافر ابنهما أنتوني ليلحق بالقوات المحاربة.

تريثت فرنسيس قبل أن تنطق بشيء، فقد كانت تحترم زوجها وتقدر فيه قوة الاحتمال والجلَد. فعندما وصلت إليهما برقية تعلن وفاة أنتوني في أثناء المعارك لم يفقد أحدهما جَلَده،

وكل ما فعله عندما فض البرقية وقرأ محتوياتها أن رفع رأسه لينظر إليها، فقالت له: أهي...؟

فحنى رأسه ثم قام ووضع البرقية في يدها وبقي صامتاً برهة ثم قال: بودي لو أن في استطاعتي مساعدتك يا عزيزتي!

فقالت له بهدوء: نحن في ذلك سواء.

فقال وهو يربت على كتفها: نعم، نعم.

ثم تحرك صوب الباب وهو يجر أقدامه وقد تحول إلى كهل.

-٣-

عادت فرنسيس تنظر إلى زوجها فوجدته ما يزال يمر بيده على شفته العليا فقالت: هل هناك شيء يا جيريمي؟

وكان سؤالها مفاجئاً فزع له الزوج وكاد القدح يسقط من يده، ولكنه تمالك وأنزل القدح لينظر إليها عبر الحجرة قائلاً: ماذا تعنين يا فرنسيس؟

- أتساءل إن كان هناك شيء يشغل بالك.

- أيّ شيء؟

- من الحماقة أن أخمّن، ولكنني أرجو أن تخبرني أنت.

فأجابها باقتضاب: ليس هناك شيء.

ولكنها بقيت تنظر إليه في تساؤل متجاهلة أفكاره، ومرت

لحظة انكشف فيها الستار عن وجهه فشعرت من نظراته بما يعتمل في نفسه من آلام، ولكنها لحظة عاد الستار بعدها فقالت له بهدوء: أرى من الأفضل أن تخبرني.

فتنهد بحزن قائلاً: أجل، لا بد أن تعلمي إن عاجلاً أو آجلاً.

فقالت على الفور: أهو المال؟

ولم تدرِ لماذا ذكرت المال، مع أنه لم يكُن هناك ما يدل على أنهما في ضائقة مالية، فلماذا لا يكون شيئاً يتعلق بصحته مثلاً؟ إن حالته الصحية لم تكُن على ما يُرام، كما لاحظت في اليومين الماضيين. ولكنها كانت على صواب في تخمينها، فقد أومأ زوجها برأسه موافقاً ثم أضاف بحزن: لو أن جوردون لم يمت لأعاد الأمور إلى نصابها.

فتنهدت فرنسيس قائلة: أجل، طبعاً، ولا أريد أن ألومه؛ فمن حقه أن يتزوج ثانية، ولكنه الحظ العاثر الذي جعله يُقتل في تلك الغارة قبل أن يرتب أموره ويكتب وصية جديدة.

فقال جيريمي: لقد كانت صدمة قاسية، فقد كنتُ فخوراً بأخي جوردون وقد كان موته كارثة لي، فقد حدث في لحظة.

وتوقف عن إتمام حديثه، فأسرعَت فرنسيس تسأله: وهل نحن مشرفون على الإفلاس؟

فقال جيريمي بحدة: بل على أسوأ من ذلك. لقد بددتُ أموال الغير، فقد كانت في حوزتي بعض الأسهم فتصرفتُ فيها، ولكنني تمكنت من تغطية موقفي حتى الآن.

- ولكنكَ تخشى أن ينكشف الأمر الآن، أليس كذلك؟

- إلا إذا تمكنتُ من الحصول على المال المطلوب وفي أقصر وقت.

ثم نظر إليها في حزن قائلاً: أنا آسف يا فرنسيس، ولكنكِ أخطأت بزواجك بي.

فنظرت إليه في حزن قائلة: ماذا تعني؟

- عندما تزوجتِني كنت تتوقعين حياة هادئة لا تنغيص فيها.

فأخذت تنظر إليه في دهشة ثم قالت: حقاً يا جيريمي؟ لماذا تظنني تزوجتك؟

وابتسم جيريمي ابتسامة خفيفة قائلاً: لقد كنت مثال الزوجة المخلصة يا عزيزتي، ولكنني أعتقد أنك ما كنت ترتضيني زوجاً لولا الظروف.

فانفجرت ضاحكة وقالت: يا لكَ من عبقري! أتعتقد أنني تزوجتك لأنك أنقذت أبي من أولئك الوحوش؟

- ولكنك كنت تحبين أباك يا فرنسيس.

- حقاً لقد كنتُ متعلقة به، فقد كان جذاباً وكانت الحياة معه مسلية، ولكن إذا كنتَ تعتقد لحظة واحدة أنني كنتُ أرضى أن أبيع نفسي لمحامي العائلة لكي أنقذ أبي من شيء كان لا بد واقعاً له فأنت لا تعرف شيئاً عني مطلقاً.

وبقيت تحدجه بنظراتها برهة وهي تعجب كيف يخامره مثل

هذا الشك بعد أن قضيا معاً أكثر من عشرين عاماً، ثم أضافت: لقد تزوجتك لأنني أحببتك.

- أحببتِني؟ ولكن ماذا أعجبك فيّ؟

- حسناً يا جيريمي، لا أدري، ولكنك كنتَ تختلف عن أصدقاء أبي تماماً، فلم تكُن لتتحدث عن الجياد. وكم كنت أتضايق من الحديث عنها. هل تذكر تلك الليلة التي حضرتَ لتناول العشاء معنا، وكنتُ أجلس بجوارك فسألتك عن طريقة إصدار النقود فبقيت تحدثني واستغرق الحديث وقت العشاء؟

- لا بد أنه كان حديثاً مملاً.

- بل كان جذاباً. لقد كنت تحدثني باهتمام لم أشعر به من أحد غيرك، وكنتَ مؤدباً ولكن لم يبدُ عليك أنك تنظر إليّ أو تشعر بشيء من الإعجاب بجمالي، وقد أثارني ذلك فصمّمتُ على أن ألفتَ نظرك إليّ.

- لم يكُن هناك داع لذلك لأنني عندما عدتُ إلى منزلي في تلك الليلة لم يغمض لي جفن. وكنت ترتدين ثوباً محلّى بورود زرقاء في تلك الليلة.

خيم الصمت برهة عليهما ثم تنحنح جيريمي قائلاً: ولكن ذلك كان منذ أمد بعيد.

فأسرعت تقول لتخرجه من ارتباكه: أجل، وأمامنا مشكلة تنتظر الحل.

- لقد زاد الأمر سوءاً بعد الذي أخبرتِني به يا فرنسيس، فهذا العار...

فقاطعته قائلة: دعنا ندخل إلى صميم الموضوع. أنت منزعج لأنك خرقتَ القانون، وقد تكون نتيجة ذلك أن تذهب إلى السجن.

ففزع جيريمي في حين تابعت: ولا أريد أن يحدث هذا، فسأناضل بكل الطرق لأحول دون وقوع ذلك. ولا يجب أن تبتئس فما وُجد الشخص الكامل، فأبي رغم جاذبيته كان معوجّاً، وهناك ابن عمي تشارلس وقد أقدم على ما أقدم عليه، وابن عمي جيرالد زوّر شيكاً في أكسفورد، ولكنه انضم إلى القوات المحاربة وتمكن بشجاعته أن يحصل على صليب فكتوريا، وأنا مثلاً كنت قابلة للاعوجاج لولا إخلاصي.

فقام جيريمي من مقعده وسار إليها، ثم ربت على شعرها في حين تابعت وهي تبتسم له: والآن ماذا نفعل؟ يجب أن تحصل على المال بطريقة ما.

فقال وقد تصلبت عضلات وجهه: ولكن كيف؟

- لنرهن المنزل.

ولاحظت ما بدا عليه فأسرعت تقول: أرى أن هذا قد تم. كم أنا بلهاء... لا بد أنكَ طرقت كل الأبواب الممكنة. إذن ليس أمامنا إلا أن نلجأ إلى أحد ليقرضنا المبلغ، وليس هناك إلا شخص واحد، وهي روزالين السمراء أرملة جوردون.

فقال جيريمي: ولكنه مبلغ كبير ولا يمكنها أن تعطينا إياه دون أن تمس رأس المال، وهذا ليس من حقها؛ فرأس المال بمثابة أمانة لديها وليس لها حق التصرف إلا في الدخل فقط.

- لم أكن أعلم ذلك، فقد كنتُ أظن أنه ملك لها. وماذا يحدث عندما تموت؟

- يؤول إلى الأقربين من عائلة جوردون، أي يوزّع بيني وبين ليونيل وأديلا وروولي ابن أخي الراحل موريس.

فقالت فرنسيس ببطء: يؤول إلينا؟

ومرت في الحجرة موجة من الهواء البارد، وبعد برهة قالت فرنسيس: أنت لم تخبرني بذلك. لقد كنت أعتقد أن الأموال التي آلت إليها ملك لها تتركها لمن تشاء بعد موتها.

- لا؛ فذلك نص القانون الخاص بمن يموتون دون أن يتركوا وصية معترفاً بها.

- ولكن هذا لن يفيدنا في شيء؛ فسوف يضمّ الثرى رفاتنا قبل أن تصل روزالين إلى منتصف العمر. كم سنّها؟ خمسة وعشرون عاماً أم ستة وعشرون؟ من المحتمل جداً أن تعيش حتى تبلغ السبعين.

فقال جيريمي بشك: قد نتمكن من طلب سُلفة منها، فربما تكون عاقلة. نحن لا ندري عنها إلا القليل.

فقالت فرنسيس: وعلى كل حال فقد كنا نعاملها معاملة حسنة، ولسنا كأديلا، فربما توافق.

فقال زوجها محذراً: ولكن يجب أن لا تشعر بأننا متلهفون.

- لا بالتأكيد، ولكن العقبة هي أن المعاملة يجب أن تكون

مع أخيها؛ فهي واقعة تحت سلطانه تماماً.

- هذا الشاب غير جذاب.

فابتسمت فرنسيس قائلة: لا، بل هو جذاب ولكنه متهور على ما أظن، وإذا كان الأمر هكذا فأنا متهورة كذلك.

ثم نظرت إلى زوجها وأضافت: لن نُهزم يا جيريمي ولن نعدم الوسيلة، حتى إذا اضطرني الأمر لأن أسطو على بنك.

-٤-

قالت لين: أهو المال؟

فهز رولي كلود رأسه موافقاً. وكان رولي شابّاً ضخم الجسم عريض المنكبين ذا شعر أشقر وعينين زرقاوين يبدو فيهما التفكير، وكان يتكلم ببطء يبدو مقصوداً ويزن كل كلمة قبل أن ينطق بها. أجاب رولي بعد قليل: نعم، فالمال هو كل شيء في هذه الأيام.

- كنتُ أظن أن المزارعين أفادوا كثيراً من جرّاء الحرب.

- أجل، ولكنها فائدة وقتية وسوف نعود إلى ما كنا عليه بعد سنة، فالأجور مرتفعة والعمال غير راغبين في العمل، وليس هناك من هو راض بحالته. إلا إذا استطاع الإنسان أن يباشر الزراعة على نطاق واسع، وقد كان عمي جوردون يعلم ذلك وكان ينوي أن يمد يد المساعدة في الوقت المناسب.

- والآن؟

فابتسم رولي قائلاً: والآن تذهب أرملته إلى لندن لتنفق بضعة آلاف من الجنيهات في شراء معطف من الفراء.

- هذا هو الإسراف المَقيت.

- لا، فكم أود أن أهديكِ معطفاً من الفراء يا لين.

- وكيف تبدو أرملته يا رولي؟

- سوف ترينها الليلة في الحفلة التي يقيمها العم ليونيل والعمة كاثي.

- أجل، أعرف ذلك. ولكنني أريد أن أسمع رأيك أنت، فرأي أمي فيها أنها غبية بعض الشيء.

- حسناً، لا أظن أنها ذكية، ولكنها تبدو غبية لأنها حذرة جداً.

- حذرة من أي شيء؟!

- حذرة في كل شيء، وبخاصة حديثها. فهي كما تعلمين أيرلندية، كما أن معلوماتها الأدبية قليلة.

- إذن فهي جاهلة.

فابتسم رولي قائلاً: ليس إلى حد ما تظنين. أما من ناحية الجمال فلها عينان جميلتان وبشرة صافية، وأعتقد أن هذا هو ما أعجب عمي جوردون. أضيفي إلى ذلك عدم تكلفها، ولا أظن أنه عدم تكلف مصطنع، ولو أنه من الصعب على الإنسان أن يعرف، وهي في كل تصرفاتها تسلم القياد لدافيد يصرفها كيفما يشاء.

- دافيد؟

- أخوها، وهو لا يميل إلينا إطلاقاً.

فقالت لين بحدة: ولماذا يميل إليكم؟ ثم أضافت وقد لاحظت نظرات الدهشة التي بدت في عينيه: أعني أنك لا تميل إليه.

- بالتأكيد، وسوف تشعرين بنفس الشعور؛ فهو ليس واحداً منا.

- أنتَ لا تعلم إلى مَن أميل وممّن أنفر يا رولي، فقد رأيتُ كثيراً في السنوات الثلاث الماضية وأعتقد أن نظرتي للأشياء قد تغيرت.

قال بهدوء: لقد رأيتِ أشياء لم أرَها، هذا صحيح.

فنظرت لين في حدة، فقد كان يُخفي شيئاً وراء تلك الكلمات الهادئة. وبادلها رولي النظرات دون أن يبدو عليه شيء، فقد كان من المحال أن يعرف الإنسان ما يدور بخلد رولي.

قالت لين لنفسها: يا له من عالَم عجيب انقلبت فيه الأوضاع! فبعد أن كان الرجل يذهب إلى الحرب وتبقى المرآة في المنزل صار العكس هو الواقع. وعادت بها ذاكرتها بضع سنين إلى الوراء. لقد كان رولي وشريكه جوني يعملان معاً في الحقل، ثم اندلع لهيب الحرب وكان على أحدهما أن يبقى في الحقل، واقترعا لذلك فكانت الحرب من نصيب جوني فافاسور الذي قُتل في معارك النرويج، أما رولي فقد قضى طَوال مدة الحرب في

المزرعة لا يبعد عنها أكثر من ميل أو اثنين. وأما هي فقد ذهبت إلى مصر وشمال إفريقيا ثم جزيرة صقلية، وتعرضت لنيران العدو أكثر من مرة، وها هي تعود من الحرب إلى وطنها، وها هو رولي الذي بقي في وطنه!

ثم ضحكت بعصبية قائلة: تبدو بعض الأشياء مقلوبة الأوضاع في بعض الأحيان، أليس كذلك؟

فقال رولي وهو يسرح ببصره إلى الحقول أمامه: لا أدري، فهذا يتوقف...

قالت بشيء من التردد: رولي، ماذا كان شعورك نحو شريكك جوني؟

فحدجها بنظرة أعادتها إلى صوابها ثم قال: لندع جوني وحده، فقد انتهت الحرب وقد كنتُ محظوظاً.

فقالت بشك: محظوظاً! أتعني لأنك لم تذهب؟

- ألا تعتقدين ذلك؟

ولم تدرِ ما إذا كان جاداً فيما يقول أم لا. ثم تابع رولي وهو يبتسم: ولكنَ أمثالكِ من الفتيات العاملات سوف يجدن صعوبة في الاستقرار في بيوتهن بطبيعة الحال.

فاحتدت قائلة: لا تكن أحمق يا رولي.

ولكن لماذا الحدة؟ أجل، لماذا؟ إلا إذا كانت كلماته قد مست وتراً حساساً وكان لها نصيب من الصحة، فقال رولي: حسناً، أظن أنه قد آن الأوان لنفكر في عقد الزواج. هذا إذا لم

تكوني قد غيرتِ رأيك.

- بالتأكيد لم أغير رأيي، ولماذا أغيّره؟

فأجابها بغموض: من يدري؟

- أتعني أنكَ تعتقد أنني تغيرت؟

- ليس تماماً.

- ربما غيّرتَ أنت رأيك؟

- لا، أنا لم أتغير، فليس هناك مجال للتغيير هنا في هذه المزرعة كما تعلمين.

- حسناً، لنعقد قراننا إذن. متى تريد ذلك؟

- في يونيو.

- كما تريد.

ثم خيم عليهما الصمت، فقد انتهى كل شيء. ولكن لين شعرت رغماً عنها بشيء من الضيق، أما رولي فهو كما كان دائماً وَدوداً لا تحركه العواطف واسع الإدراك، ولكنهما لم يكونا ليتحدثا عن الحب، فلماذا يبدآن الآن؟ كلاهما يحب الآخَر وقد كانا كذلك دائماً، ولكنهما سوف يتزوجان في يونيو ويعيشان في «لونج ويللوز» ولن تفارقه بعد ذلك. لقد انتهت الحرب وعادت إلى وطنها، ولكنها تشعر بأنها قد تغيرت فلم تعد لين التي تركَت وطنها. وما إن وصل بها تفكيرها إلى هذا الحد حتى رفعَت رأسها لتجد رولي ينظر إليها.

## -٥-

كانت حفلات العمة كاثي كلها متشابهة تقريباً، تتسم بطابع المضيفة. وكانت الحفلة عائلية في تلك الليلة، فقد أُقيمت احتفاء بعودة لين إلى وطنها.

قالت العمة كاثي وهي تحيي ابنة أخت زوجها بحرارة: أنت تبدين جميلة يا عزيزتي، فقد أضفى جوّ مصر عليك سمرة محبَّبة. هل قرأت الكتاب الذي أرسلتُه إليك عن الأهرامات والتنبؤات المنقوشة في داخلها؟ حقاً هو كتاب مسلّ ويوضح كل شيء. ألا تعتقدين ذلك؟

فأنقذ لين من الإجابة دخولُ روزالين وأخيها دافيد، فقالت العمة كاثي تقدّم لين إلى القادمة: هذه ابنة أخت زوجي لين مارشمونت يا روزالين.

ونظرت لين بدهشة إلى أرملة خالها جوردون كلود. لقد كانت جميلة حقاً وتتسم بطابع البساطة كما قال رولي، فاحمة الشعر زرقاء العينين جميلتهما منفرجة الشفتين قليلاً. وكان كل ما عدا ذلك يشير إلى البذخ مثل ثوبها وحليّها والفراء الذي تضعه على كتفيها... لقد كان قوامها جميلاً حقاً ولكنها لم تكُن تعرف كيف ترتدي الثياب الغالية، إذ لم تكُن ترتديها كما كانت تفعل لين مارشمونت لو أن الفرصة أُتيحت لها. وإذا بصوت يهتف من أعماق نفسها: ولكنكِ لن تنالي هذه الفرصة أبداً!

قالت روزالين كلود: لي الشرف. ثم استدارت بتردد نحو الرجل الواقف خلفها قائلة: هذا أخي.

فقال دافيد هنتر: لي الشرف.

كان دافيد شاباً نحيلاً فاحم الشعر أسود العينين ذا وجه تبدو فيه الكآبة والتحدي وربما الوقاحة إلى حد ما، وفي الحال عرفت لين لماذا لم يكُن آل كلود يميلون إليه. لقد قابلت رجالاً أمثاله في أثناء الحرب، رجالاً متهورين وخطرين إلى حد ما أيضاً.

قالت لين تحدث روزالين: كيف وجدت الحياة في فاروبانك؟

- أعتقد أنه منزل مدهش.

فضحك دافيد هنتر باستخفاف قائلاً: كان جوردون المسكين يعرف كيف يمتع نفسه.

وقد كانت هذه هي الحقيقة، فعندما قرر جوردون أن يقيم في وارمسلي فيل (أو على الأصح عندما قرر أن يقضي جزءاً من حياته المليئة بالعمل هناك) فضّل أن يبني شيئاً جديداً إذ لم يكُن يحب القصور ذات الآثار التاريخية، فاتفق مع مهندس شاب وأعطاه حرية العمل. وكان نصف سكان وارمسلي فيل يرون أن فاروبانك منزل مرعب، وكانوا يكرهون كل شيء فيه، بناءه وأثاثه وأبوابه المنزلقة وموائده ومقاعده الزجاجية... الجزء الوحيد الذي استحوذ عليهم هو الحمامات.

وسألها دافيد بعد قليل: هل أنت الفتاة العائدة من الجيش؟

- نعم.

فحدجها بنظرة إعجاب جعلَت وجهها يحمرّ خجلاً. وفجأة ظهرت العمة كاثي ثانية تُعلن عن العشاء وكأن الأرض انشقت لتخرج منها، وربما تعلمَت تلك الحيلة من جلسات تحضير الأرواح العديدة التي كانت تحضرها. وبدأ الجميع يدخلون إلى حجرة المائدة، جيريمي وزوجته فرنسيس، ثم ليونيل وزوجته كاثي، ثم أديلا، ثم لين ورولي. لقد كانت حفلة عائلية تضم آل كلود واثنين من الغرباء، فرغم أن روزالين كلود كانت تحمل اللقب إلا أنها لم تصبح من آل كلود مثل فرنسيس وكاترين، أما دافيد فكان بمثابة طريد القانون.

وما إن أخذت لين مكانها إلى المائدة حتى شعرت بتيارات غريبة تملأ الحجرة، تيارات كهربائية قوية، فقالت تحدث نفسها: ما هذه التيارات؟ أهي تيارات الحقد؟ هل يمكن أن يكون الأمر كذلك؟

ثم عادت لين تقول لنفسها: هل نكره هذين الغريبين اللذين أخذا ما نعتقد أنه ملك لنا إلى هذا الحد حقاً؟ لا، ليس بعد، من الجائز أن نفعل ولكن لم يَئِن الأوان، ولكنهما يكرهاننا بلا ريب.

وفجأة سمعَت دافيد يقول لها: هل تفكرين في شيء؟

فأسرعت تقول: أنا آسفة. لقد كنت أفكر في أحوال العالَم.

فقال ببرود: يا له من تفكير غير مُجدٍ!

- أجل، هو كذلك، فنحن جميعاً ميّالون لعمل الخير في هذه الأيام، ولكن ذلك لا يجدي نفعاً.

- من السهل عملياً أن يحب الإنسان عمل الشر، فهذه القنبلة الذرية إحدى النتائج العملية لذلك.

- هذا ما كنتُ أفكر فيه، ولكنني لا أعني القنبلة الذرية بل الميل لعمل الشر.

فقال دافيد بهدوء: أجل، الميل لعمل الشر. لقد كانوا في العصور الوسطى عمليين من هذه الناحية.

- ماذا تعني؟

- أعني السحر الأسود بطبيعة الحال، الحسد وعمل أشكال من الشمع... لقد كانوا لا يتورعون عن قتل أغنام الجار، بل قتل الجار نفسه!

فسألته لين بدهشة: لا إخالك تعتقد أنه كان يوجد شيء حقيقي اسمه السحر الأسود؟

- ربما لا، ولكنهم كانوا يحاولون قدر طاقتهم. أما في هذه الأيام فلو أن كل الميول الشريرة في العالَم اجتمعت فلن تستطيعي أنت وعائلتك أن تفعلوا شيئاً بروزالين أو بي.

فأدارت رأسها نحوه وقالت برفق وقد بدأت تشعر بمتعة الحديث: لقد فات الأوان.

فضحك دافيد هنتر، ويبدو أنه هو أيضاً كان يتمتع بهذا الحديث. ثم قال: أتعنين أننا قد نجونا بالغنيمة؟ لقد أصبت حقاً.

- والآن أنتما تلهوان.

- أتعنين بالمال بطبيعة الحال؟

- لا أعني بالمال فقط، بل أعني بنا أيضاً.

- ألأننا غنمنا منكم؟ حسناً، ربما؛ فقد كنتم جميعاً مطمئنين إلى أموال الكهل المسكين وكأنها قد أصبحت في جيوبكم.

- لا تنسَ أنه علّمنا أن نعتقد ذلك منذ سنين وعلمنا ألا نقتصد وألا نفكر في المستقبل، كما شجّعنا على أن نمشي قُدُماً في خططنا ومشروعاتنا.

- ولكن شيئاً واحداً لم تتعلموه.

- ما هو؟

- هو أنه ما من شيء مضمون في هذه الحياة.

بقيت لين صامتة وقد أخذت كلمات دافيد تطنّ في أذنيها: ما من شيء مضمون! أجل؛ لقد كان هناك أناس يعيشون في عالَمهم الخاص، أناس يشكّون في كل شيء، وكان دافيد أحد هؤلاء. ورغم أن لين نشأت في عالم مخالف إلا أن ذلك العالم الآخَر كان يروقها.

وقال دافيد بصوت خافت فيه رنة تسلية: أما زال باب التخاطب بيننا مفتوحاً؟

- نعم.

- حسناً، أما زلت تحسديننا لما حصلنا عليه؟

- نعم.

- عظيم، وما أنت فاعلة حيال ذلك؟

- سأبتاع بعض الشمع وأباشر السحر الأسود.

فضحك قائلاً: لا، لن تفعلي؛ فلستِ ممن يعتمدون على تلك الأساليب العتيقة.

- وما الذي يدعوك إلى الاعتقاد بأنه سوف يكون بيننا صراع؟ ألم نرضَ بالواقع؟

- في الواقع يبدو تصرفكم جميلاً، وهذا ما يجعل الأمر مسلياً.

فقالت لين بصوت خافت: إذن لماذا تكرهاننا؟

برقت عيناه بوميض غريب ثم قال: لا أستطيع أن أجعلكِ تفهمين.

- بل أعتقد أن ذلك في استطاعتك.

وبقي دافيد صامتاً برهة ثم سألها بلهجة هادئة: هل ستتزوجين ذلك الأحمق رولي؟

فقالت بحدة: أنت لا تعرفه جيداً ولن تعرفه.

فعاد يسألها بنفس اللهجة: وما رأيك في روزالين؟

- إنها جميلة جذابة.

- وماذا؟

- ولا تبدو سعيدة.

- أنت على حق؛ فهي فزعة، وقد كانت هكذا دائماً. هل

تودين أن أحدثك عنها؟

فقالت لين بهدوء: إذا شئت.

- لقد كانت روزالين منذ حداثتها تهوى التمثيل، وبقيت كذلك حتى تمكنَت من الظهور على خشبة المسرح حين انضمّت إلى فرقة متنقلة من الدرجة الثالثة كانت وجهتها جنوب إفريقيا، وهناك في مدينة الكاب تعرفت إلى أحد موظّفي الحكومة فتزوجا وذهبا إلى نيجيريا، ولكن المكان لم يعجبها. ولا أعتقد أنها كانت تحب زوجها، وكان رجلاً مطلعاً يحتفظ بمجوعة كبيرة من الكتب والمجلدات ويحب الحديث في علوم ما وراء الطبيعة. ثم عادت إلى مدينة الكاب، وقد كان رجلاً كريماً فسمح لها بالعودة إلى وطنها بعد أن أعطاها مبلغاً من المال، وكان في استطاعته أن يطلقها غير أنه لم يفعل، ولكنه لحسن حظها مات بالحمى فحصلت روزالين على نصيب من ثروته، ثم أُعلنت الحرب فاستقلّت باخرة قاصدة أمريكا الجنوبية، ولم يطب لها المقام هناك فاستقلّت باخرة ثانية حيث التقت بجوردون كلود فروت له تاريخ حياتها، ثم تزوجا في نيويورك وعاشا سعيدين لمدة أسبوعين، ثم عادا بعدها إلى لندن حيث قُتل جوردون في الغارة الجوية تاركاً لها منزلاً كبيراً وبعض الجواهر الثمينة ودخلاً سنوياً ضخماً.

- جميل أن تنتهي القصة بهذه النهاية السعيدة.

- أجل، فرغم أنها لا تملك ذرة من العقل إلا أن حظها عظيم، ومع أن جوردون كلود كان كهلاً في الثانية والستين من عمره إلا أنه كان يتمتع بصحة جيدة، وكان من المحتمل

أن يعيش حتى الثمانين أو أكثر، أما روزالين فهي في السادسة والعشرين، وقد كانت في الرابعة والعشرين عندما تزوجته، فلو أنه عاش لما شعرت بالسعادة قط مع ذلك الفارق الكبير.

- ولكنها تبدو أصغر من ذلك.

نظر دافيد عبر المائدة نحو روزالين فوجدها تكوّر قطع الخبز أمامها في عصبية، وكانت تبدو كطفلة صغيرة. قال: أجل، أنت على حق، فهي في حالة شرود ذهني.

قالت لين فجأة: يا لها من مسكينة!

فقطب دافيد جبينه وقال بحدة: لِمَ هذا الإشفاق؟ سوف أقوم برعايتها.

- أعتقد أنكَ ستفعل ذلك.

ثم أضاف وهو يكشّر عن أنيابه: وكل من يحاول أن يضايقها سوف يجدني له بالمرصاد، فأنا أعرف كيف أدافع عنها.

فسألته لين ببرود: هل تنوي أن تُسمعني تاريخ حياتك الآن؟

فابتسم قائلاً: حسناً، إليك بعض حلقاته. عندما أُعلنت الحرب لم أرَ ما يدعوني لأن أحارب من أجل إنكلترا، فأنا أيرلندي. ولكنني ككل الأيرلنديين أحب القتال، فالتحقتُ بفرق الكوماندوز، وكانت أياماً ممتعة لكنها لم تطل، فقد استُغني عني بعد أن أُصيبت إحدى ساقيّ إصابة جسمية، فسافرت إلى كندا لأقوم بتدريب بعض الشبان هناك، وكنت في حالة عدم استقرار عندما وصلتني برقية روزالين من نيويورك تخبرني فيها

بأنها على وشك الزواج. ورغم أنها لم تخبرني بثراء زوجها إلا أنني علمتُ ذلك من قراءة ما بين السطور، فركبتُ طائرة إلى نيويورك وانضممت إلى الزوجين السعيدين حيث بقينا مدة ثم عدنا جميعاً إلى لندن. وها نحن الآن، أنتِ عائدة من وراء البحار وأنا...

وتوقف ليسألها فجأة: ماذا حدث؟

- لا شيء.

وكان قد انتهى العشاء فقامَت من مكانها وانضمت إلى الآخَرين، وبينما هي تدخل إلى حجرة الاستقبال قال لها رولي: يبدو أن حديثك مع دافيد هنتر كان شيقاً. عن أيّ شيء كنتما تتحدثان؟

- لا شيء بالتحديد.

-٦-

قالت روزالين وهي تنظر إلى دافيد عبر المائدة: دافيد. متى نعود إلى لندن؟ متى نرحل إلى أمريكا؟

فحدجها دافيد بنظرة سريعة ثم قال: هل هناك ما يدعو إلى العجلة؟ أيضايقك هذا المكان؟

وهمهمت روزالين قائلة وهي تفتّت الخبز أمامها: لقد أخبرتني بأننا سنذهب إلى أمريكا في أقرب فرصة ممكنة.

- أجل، ولكن الأمر ليس بهذه السهولة كما تتصورين؛

فهناك شيء اسمه الأسبقية، وشيء آخَر، وهو أنه ليس لنا أعمال تستدعي سفرنا إلى أمريكا.

فعادت روزالين تهمهم قائلة: أنت أخبرتني أننا سوف نبقى هنا فترة قصيرة ولم تخبرني بأننا سوف نقيم هنا إلى الأبد.

- ما الذي يضايقك في وارمسلي فيل وفي فاروبانك؟

- ليس هناك ما يضايقني غيرهم.

- أتعنين آل كلود؟

- نعم.

- أما أنا فأشعر بلذة عظيمة وأنا أراقبهم ونار الحقد تأكل قلوبهم، فلا تحرميني من تلك اللذة يا روزالين.

فقالت بصوت مضطرب: هذا لا يروقني.

- لماذا؟ ألم نشقَ بما فيه الكفاية حين كان آل كلود يعيشون في رغد من العيش معتمدين على شقيقهم جوردون؟ أنا أمقتهم جميعاً.

فقالت بجزع: من الإثم أن يكره الإنسانُ إنساناً آخَر.

- ألا تعتقدين أنهم يكرهونك؟ هل شعرت لحظة من اللحظات بأنهم يعطفون عليك؟

فقالت بشك: ولكن لم يحاول أحدٌ منهم إيذائي.

- إنهم يودون ذلك أيتها الطفلة، يودون من كل قلوبهم.

ثم ضحك باستخفاف وتابع: ولولا خوفهم مغبة الأمر

لقُتلتِ بطعنة خنجر منذ زمن طويل!

- لا تُقل هذه الأشياء المريعة.

- حسناً، ربما لا يكون خنجراً، فقد يضعون لك السم في الحساء.

فأخذت تحملق إليه وقد ارتعشت شفتاها، وأخيراً قالت: لا بد أنك تمزح.

قاطعها قائلاً بلهجة جدية: لا تخشي شيئاً يا روزالين، فسوف أسهر عليك وسوف يجدونني بالمرصاد لهم دائماً.

فقالت بصوت مرتعش: إذا كان ما تقوله من أنهم يكرهونني حقاً فلماذا لا نذهب إلى لندن؟ سوف نكون هناك آمنين بعيداً عنهم.

- الريف يلائمك، وأنت تعلمين أن وجودك في لندن يؤثر على صحتك.

- كان ذلك في أيام الغارات والقنابل تتساقط كالمطر.

ثم أغمضَت عينيها وقد سرت الرعشة في بدنها ثم أضافت: ولن أنسى ذلك.

- بل سوف تنسين.

ثم تابع وقد أمسك بكتفها برفق وهزّها: لا تفكري في هذا الأمر يا روزالين. لقد كانت صدمة قاسية ولكنها مرت بسلام، وها قد انقضى عهد القنابل فلا تفكري في الأمر وحاولي ألا تتذكري. لقد أشار عليّ الطبيب أن اصطحبك إلى الريف لتمضية

فترة طويلة فيه، وهذا ما يجعلني لا أحبذ فكرة الذهاب إلى لندن.

- أهذا هو السبب حقاً يا دافيد؟ كنتُ أظن...

- ماذا كنت تظنين؟

فقالت روزالين ببطء: لقد ظننت أنك ربما أردت البقاء من أجلها.

- من أجل من؟

- أنت تدري مَن أعني، تلك الفتاة العائدة من الجيش.

مرّت بوجهه سحابة قاتمة، ثم قال بغلظة: لين؟ لين مارشمونت؟

- نعم يا دافيد، فقد رأيتك مهتماً بها.

- لين مارشمونت فتاة رولي، ذلك الغبي الذي يبدو كثور جميل.

- لقد كنتُ أراقبك وأنت تتحدث إليها في تلك الليلة.

- ماذا تقولين يا روزالين بالله عليك؟

- ألم تتقابلا بعد تلك الليلة؟

- بلى، لقد قابلتُها صدفة صباح أمس قريباً من الحقل.

- وسوف تقابلها ثانية.

- بالطبع سوف تتكرر مقابلتي لها، فهذه قرية صغيرة ولا يمكن أن يخطو الإنسان بضع خطوات دون أن يقابل أحداً من

آل كلود. ولكن إذا كنت تعتقدين أنني معجب بلين مارشمونت فأنت مخطئة، فهي فتاة مغرورة متكبرة، وليسعد بها خطيبها رولي فهي ليست من النوع الذي يروقني.

فقالت روزالين بشك: هل أنتَ واثق مما تقول يا دافيد؟

- واثق بطبيعة الحال.

فقالت بعناد: أعلم أنك لا تؤمن بالكشف عن المستقبل عن طريق ورق اللعب، ولكنني أؤمن به وها هو ما كشفت عنه يتحقق، فهناك فتاة ستجلب الحزن والمتاعب، فتاة آتية من وراء البحار، وهناك رجل غريب أسمر اللون سيدخل حياتنا وسيأتي معه الخطر و...

فضحك دافيد قائلاً: يا لك أنت ورجلك الغريب! يا لك من متشائمة! نصيحتي لك أن تنفري من كل غريب أسمر.

ثم تركها وخرج من المنزل وهو لا يزال يضحك، ولكنه ما كاد يبتعد قليلاً حتى مرت بوجهه سحابة قاتمة فقطب جبينه وهو يهمهم: حظ سيئ لك يا لين! تعودين من الخارج لتفسدي علينا سعادتنا.

ففي تلك اللحظة تأكد من أنه ما سلك ذلك الطريق إلا على أمل أن يقابلها. وبقيت روزالين تراقبه حتى عبر الحديقة وأخذ يتوغل بين الحقول، فتراجعت من النافذة وصعدت إلى حجرة نومها لتستعرض ملابسها، لم يكُن أحب إلى قلبها من مشاهدة ما تحويه خزانة ملابسها من فراء ثمين. وكانت ما تزال في حجرة نومها عندما وافتها الخادمة لتخبرها بأن السيدة مارشمونت تريد مقابلتها.

## -٧-

جلست أديلا في حجرة الاستقبال مطبقة شفتيها وقد أخذت ضربات قلبها تتزايد. لقد كانت في الأيام الثلاثة الأخيرة تفكر في أن تلجأ إلى روزالين لتقرضها بعض المال، وفي كل مرة كانت تعود فتعدل عن رأيها، خاصة وأن لين أبدت معارضة شديدة في المرة الأخيرة بعدما كانت تحبذ أن تلجأ أمها إلى أرملة جوردون في بادئ الأمر، ولكن الخطاب الأخير الذي وصل السيدة مارشمونت من مدير البنك جعلها تفكر جدياً في الأمر وشجعها على تنفيذ ما انتوته، وقد سنحت لها الفرصة، فقد خرجت لين مبكرة هذا الصباح كما أن دافيد لم يكُن في فاروبانك، فقد رأته يترك المنزل ويسير وسط الحقول.

ورغم أنها كانت تشعر بأن الأمر سيكون أقل صعوبة بكثير مما لو كان دافيد حاضراً إلا أنها كانت تشعر بالاضطراب وهي تنقّل بصرها في حجرة الاستقبال، ولكن بدأت حدة الاضطراب تخف عندما حضرَت روزالين وفي عينيها تلك النظرة التي كانت السيدة مارشمونت تعدّها نظرة غباء، فقالت أديلا لنفسها: عجباً! تُرى هل اكتسبت هذه النظرة نتيجة حادث الانفجار الذي أصاب منزلها ليلة قتل أخي أم أنها كانت كذلك دائماً؟

وقالت روزالين بتلعثم: طاب صباحك. هل من شيء؟ تفضلي بالجلوس.

فقالت السيدة مارشمونت تفتتح الحديث: هذا صباح جميل، وقد تفتحت أبصال الأزهار في حديقتي. ماذا عن أزهارك؟

فقالت الفتاة وهي تنظر إليها نظرة خالية من التعبير : لا أدري.

فقالت أديلا تحدّث نفسها: ماذا يفعل الإنسان مع شخص لا يتحدث عن الحدائق أو الكلاب، فتلك هي المقدمات اللازمة لفتح باب الحديث؟ ثم قالت بصوت مرتفع : أعتقد أن لديك عدداً كبيراً من البستانيين يشرفون على كل هذا.

- بالعكس، فنحن في حاجة إلى بستانيّين آخرَين كما يقول مولارد، ولكن يبدو أن هناك نقصاً في الأيدي العاملة في كل مكان.

كانت تتكلم لا كمَن يعبر عن أفكاره بل كطفل يردد أفكار غيره ممن هو أكبر منه سناً، وفي الواقع كانت تبدو كطفلة، فقالت أديلا لنفسها بتساؤل: أهذا هو سبب جاذبيتها؟ أهذا ما جذب جوردون كلود رجل الأعمال الكهل العنيد إليها وأعماه عن غبائها وعن النقص في تربيتها؟ لا يمكن أن يكون الجمال هو السبب، فكم من فتاة جميلة حاولت بغير طائل أن تجذبه إليها! ولكنها الطفولة، فالطفولة قد تستهوي رجلاً جاوز الستين. ولكن أهي طفولة حقيقية أم متكلَّفة؟

أخرجها من تأملاتها صوت روزالين تقول: لقد خرج دافيد، وأخشى...

وكان هذا كافياً لتتكلم، فماذا لو أن دافيد عاد؟ هذه هي فرصتها ولا يجب أن تضيعها، فقالت بتلعثم: هل... هل تستطيعين مساعدتي؟

- مساعدتك؟!

بدت الدهشة على روزالين في حين تابعت السيدة مارشمونت تقول: أنا... الأمور سيئة كما ترين، فقد أثّر موت جوردون في حالتنا جميعاً.

ثم قالت تحدث نفسها: أيتها البلهاء، أهناك ما يدعو لأن تنظري إليّ في دهشة هكذا؟ أنتِ تعرفين ماذا أقصد، لا بد أنك تعرفين فقد كنت أنت نفسك فقيرة.

وفي تلك اللحظة شعرت بالحقد على روزالين، شعرت بالحقد لأنها وهي أديلا مارشمونت كانت تجلس هنا لتستجدي، وقالت لنفسها: "لا، لا يمكنني أن أفعل ذلك"! ولكن ماذا تفعل؟ هل تبيع المنزل؟ ولكن أين تذهب؟ فليست هناك منازل أقل ثمناً معروضة للبيع، أم هل تقبل نزلاء عندها؟ ولكن من أين تأتي بالأيدي العاملة؟ كما أنها لا تستطيع وحدها أن تقوم بالطهي والنظافة وخدمة النزلاء. من الجائز أن تساعدها لين، ولكنها سوف تتزوج رولي. هل تذهب وتعيش مع رولي ولين؟ لا، لن تقدم على شيء كهذا مطلقاً. هل تبحث عن عمل؟ ولكن أي عمل؟ من يريد عجوزاً غير مدرَّبة؟

ووجدت نفسها تقول بتحدّ: أعني بالمال.

- بالمال؟

بدت الدهشة في لهجة روزالين وكأن خاطر المال كان آخِر شيء تتوقعه، فقالت أديلا وهي تتعثر في كلماتها: لقد نفد رصيدي في البنك وهناك فواتير بإصلاحات قمتُ بها في المنزل يجب أن أسددها، كما أن دخلي قد تناقص إلى النصف نتيجة لارتفاع الضرائب. وقد اعتاد جوردون أن يساعدني من آن

لآخَر حيث كان يقوم بدفع قيمة الإصلاحات بالمنزل، كما كان يساعدني بالمال دائماً وكان يطمئنني، وكانت الأمور تسير على ما يرام في أثناء حياته، أما الآن...

وتوقفت وقد شعرت بالخجل، كما شعرت بالراحة في الوقت ذاته لأنها أزاحت عبئاً عن كاهلها. فأخذت روزالين تنظر إليها بعدم ارتياح وقالت: آه، لم أكن أعرف. أنا أفكر أننا... حسناً، بالتأكيد. سوف أسأل دافيد.

فقالت أديلا بيأس وقد قبضت بيديها على جانبي المقعد: ألا تستطيعين إعطائي شيكاً الآن؟

- بلى، بلى، أظن أنني أستطيع ذلك.

قالت ذلك وقد بدا عليها الارتباك، ثم قامَت إلى المكتب تبحث في أدراجه المختلفة، وأخيراً أخرجت دفتر شيكات قائلة: هل... كم تريدين؟

- أتعتقدين... أتعتقدين أن خمسمئة جنيه...؟

وتركت الجملة عند هذا الحد، في حين أخذَت روزالين تكتب في طاعة: «خمسمئة جنيه».

فشعرت أديلا بأن التعب الثقيل قد أُزيح عن كاهلها تماماً، فقد كان الأمر أسهل مما كانت تتوقع. وانتهت الفتاة من كتابة الشيك ومدت يدها به نحو السيدة مارشمونت قائلة بارتباك: أرجو أن يكون على ما يرام، أنا آسفة.

فتناولت أديلا الشيك وألقت عليه نظرة سريعة ولكنها كانت كافية، ثم قالت: هذا جميل منك يا روزالين، وشكراً لك.

- أرجو... أعني، كان يجب أن أعلم ذلك.

- جميل منك يا عزيزتي.

وضعت أديلا مارشمونت الشيك في حقيبة يدها وهي تشعر بأنها امرأة أخرى. لقد كانت الفتاة لطيفة. ولما لم يكُن هناك داع لإطالة المقابلة فقد حيتها وانصرفت، وفي طريقها التقت بدافيد فحيته في ظرف وأسرعت خطاها.

-٨-

قال دافيد بلهجة آمرة موجّهاً حديثه لروزالين: ماذا كانت تفعل تلك المرأة هنا؟

- لا تكن هكذا يا دافيد. لقد كانت في مسيس الحاجة إلى المال ولم أكن أعلم ذلك.

- وأظنك أجبتِها إلى طلبها؟

ثم حدجها بنظرة سخرية قائلاً: أنت لا تُترَكين وحدك يا روزالين.

- ولكنني لم أكن لأستطيع أن أرفض يا دافيد، وعلى أية حال...

- وعلى أية حال ماذا؟ كم أعطيتِها؟

همهمت روزالين بصوت خافت: خمسمئة جنيه.

فانفجر دافيد ضاحكاً ثم قال: مبلغ تافه.

- أعلم يا دافيد أنه مبلغ كبير.

- ليس بالنسبة لنا الآن يا روزالين، فلا يمكن أن تدركي أي امرأة ثرية قد أصبحتِ. ومع ذلك فلو أنك أعطيتها مئة وخمسين فقط لانصرفت شاكرة. يجب أن تألفي لغة الاستدانة.

فهمهمت قائلة: أنا آسفة يا دافيد.

- يا فتاتي العزيزة، المال مالك على أية حال.

- لا، هو ليس في الحقيقة كذلك.

- لا داعي لأن نعود للكلام في هذا الموضوع، فقد مات جوردون كلود قبل أن تكون لديه فرصة لكتابة وصية، وهكذا كسبنا أنا وأنتِ الشوط وخسر الآخَرون.

- ولكنه وضع غير سليم.

- ماذا دهاك يا أختي الجميلة روزالين، ألا تستمتعين بكل هذا؟ منزل كبير وخدم وجواهر؟ ألم يكُن حلماً تحقق؟ أليس كذلك؟ ولكنني في بعض الأحيان أخشى أن أستيقظ فأجد أنه كان حلماً.

فشاركته الضحك، وبنظرة واحدة إليها شعر بارتياح. لقد كان يعرف كيف يعامل روزالين. ثم قالت روزالين بمرح: أنت على حق يا دافيد، فالأمر يبدو كحلم وأنا أستمتع به حقاً.

فقال محذّراً: ولكن ما لدينا يجب أن نحتفظ به، فلا هِبات لآل كلود يا روزالين. إن كل واحد منهم يملك من المال أضعاف ما كان يملكه أحدنا.

- أجل، هذا صحيح.

ثم سألها: أين كانت لين هذا الصباح؟

- أعتقد أنها ذهبت إلى لونج ويللوز.

فكّر في نفسه: "إلى لونج ويللوز لترى رولي الأبله الفلاح الذي تنوي أن تتزوجه"! وما إن وصل به التفكير إلى هذا الحد حتى تخلى عنه مرحه واندفع خارجاً من المنزل واتجه شطر قمة التل، وما كاد دافيد يعتلي القمة حتى رأى لين مارشمونت تغادر حقل رولي، فوقف متردداً برهة ثم عض على نواجذه وأخذ يهبط لملاقاتها، وعندما اقترب منها قال: طاب صباحك. متى يكون الزواج؟

فأجابته بحدة قائلة: لقد سألتَني هذا السؤال من قبل وأنت تعرف الجواب جيداً. في يونيو.

- وهل تنوين إتمامه؟

- لا أدري ماذا تعني يا دافيد.

- بل تدرين جيداً.

ثم ضحك بازدراء قائلاً: رولي؟ ماذا يكون رولي؟

- إنه أفضل منك، حاول أن تلمسه إن كنت تجرؤ.

- ليس لديّ شك في أنه أفضل مني، ولكنني أجرؤ. أنا أجرؤ على عمل أي شيء من أجلك يا لين.

بقيَت صامتة برهة، وأخيراً قالت: ما لا تستطيع أن تفهمه هو أنني أحب رولي.

- أنا أتساءل ما إذا كنتِ تحبينه حقاً؟

قالت بعنف: الأمر كذلك.

فحدجها دافيد بنظرة فاحصة ثم قال: نحن جميعاً نرى صوراً لأشخاصنا كما نريدها، فأنت ترين نفسك أنك تحبين رولي وأن رولي هو رجلك، ثم ترين نفسك وأنت تعيشين في هذا المكان راضية مع رولي ولا تريدين أن تفارقيه، ولكنها في الواقع ليست الحقيقة فليست هذه حقيقتك، أليس كذلك يا لين؟

- إذن فما حقيقتي؟ وما حقيقتك أنت؟ وماذا تريد؟

- كان يجب أن أقول إن ما أريده هو السلام والأمان، الهدوء الذي يلي العاصفة. ولكنني لا أدري، ففي بعض الأحيان أشك في أن كلينا يا لين، أنا وأنتِ، يريد المتاعب ويسعى إليها. ثم أضاف بانفعال: كم أتمنى لو أنك لم تأتي إلى هذا المكان. لقد كنت سعيداً قبل مجيئك.

- ألستَ سعيداً الآن؟

نظر إليها فخالجها شعور غريب حيث شعرت بأنفاسها تتلاحق. ثم دفع يده وقبض على كتفها وأدارها نحوه، وفجأة تراخت قبضته وقد أخذ ينظر صوب التل، فأدارت رأسها لترى ماذا أثار اهتمامه، فوقع نظرها على امرأة تمر من البوابة التي تؤدي إلى فاروبانك.

فسألها دافيد بحدة: من هذه؟

- تبدو كأنها فرنسيس.

- فرنسيس؟ وماذا تريد فرنسيس؟ لا بد أنها تريد شيئاً،

فما من أحد يزور روزالين إلا ليطلب شيئاً، وقد زارتنا أمك هذا الصباح.

فقالت لين وهي تتراجع إلى الخلف وقد قطبت جبينها: أمي؟ وماذا كانت تريد؟

- ألا تدرين؟ المال، وقد حصلت على ما تريد على أية حال.

فصاحت لين بألم: لا، لا، لا! لا أستطيع أن أصدق. كم أخذت؟

- خمسمئة جنيه.

فجذبت أنفاسها بشدة في حين تابع دافيد وهو غارق في التفكير: وأنا أتساءل كم ستطلب فرنسيس؟ إن روزالين لا تؤتمَن وحدها لخمس دقائق فهي لا تدري كيف تقول لا.

- هل هناك أحد آخَر؟

قال دافيد بتهكم: هناك العمة كاثي، ولكنها لم تطلب كثيراً، فقط مئتين وخمسين جنيهاً، وكانت تخشى أن يبلغ الخبر مسامع الطبيب فيغضب وخاصة أن معظم هذا المبلغ كان سيذهب إلى وسيط تحضير الأرواح، ولم تكُن تعلم بطبيعة الحال أن الطبيب نفسه طلب قرضاً.

فقالت لين بصوت خافت: ماذا تظنون بنا؟ ماذا تظنون بنا؟

ثم استدارت فجأة واندفعت صوب الحقل، ووقف دافيد

يتابعها بأنظاره وقد قطب جبينه. لقد ذهبَت إلى رولي، طارت إلى هناك كما يطير الحمام العائد إلى بيته، وقد ضايقته هذه الحقيقة فأدار رأسه ينظر إلى أعلى التل وقال وهو يعض على نواجذه: لا يا فرنسيس؛ لقد اخترت يوماً سيئاً.

ثم أسرع خطاه صاعداً التل ميمماً شطر فاروبانك، فمر من البوابة الصغيرة ثم عبر الحديقة إلى الشرفة ومنها إلى حجرة الاستقبال، فسمع فرنسيس كلود تقول: كم أود أن أوضح لك الأمر، ولكن كما ترين يا روزالين فالأمر يصعب شرحه.

وإذا صوت خلفها يقول: أهو كذلك حقاً؟

فأدارت فرنسيس كلود رأسها بحدة، لا لأنها كانت تخشى حضوره مثل أديلا مارشمونت بل على النقيض تفضل أن تناقش دافيد وروزالين في الموضوع لأن المبلغ الذي كانت ستطلبه كبير، ولم تكُن تحب أن يشعر دافيد أنها حاولَت أن تحصل على مال من روزالين في غيابه، ولكن سرّ انزعاجها هو أنها لم تسمع وقع خطواته وهو يتقدم خلفها.

وبنظرة واحدة شعرت أن دافيد لم يكُن في حالة عادية، ولكنها قالت برقة: دافيد. كم أنا سعيدة لحضورك! لقد كنت أشرح لروزالين الأثر الذي تركه موت جوردون في أحوال جيريمي المالية وأسألها إن كان في استطاعتها أن تهبّ لنجدته، فالأمر كما ترى...

واندفعت تتحدث بطلاقة، فذكرت المبلغ المطلوب وتعضيد جوردون ووعوده ثم رهن كل شيء، فشعر دافيد بإعجاب. هذه المرأة كانت تكذب، ولكن القصة التي روتها

كانت مُحكَمة. وأخذ دافيد يتساءل: ما هي الحقيقة؟ فلم يكُن جيريمي من النوع الذي يسمح لزوجته أن تقدم على شيء كهذا إلا إذا كان في مأزق حرِج، كما أن فرنسيس امرأة ذات كبرياء.

قال دافيد بعد قليل: عشرة آلاف؟!

في حين همهمت روزالين بصوت خافت: هذا مبلغ كبير.

فأسرعت فرنسيس تقول: أعلم ذلك، ولو لم يكُن كذلك لما حضرت إليكما، ولكن جيريمي لم يكُن ليقدم على هذه الصفقة لولا تشجيع جوردون، وإنه لمن سوء الحظ أن يموت فجأة.

فقال دافيد بجفاء: وترككم في العراء بعد أن كنتم تعيشون في كنفه.

برق وميض خافت في عيني فرنسيس وهو تقول: أنت بارع في تصوير الأشياء.

- روزالين لا تستطيع أن تمسّ رأس المال كما تعلمين، وكل ما يمكن أن تمسه هو الدخل الذي تدفع منه ضريبة كبيرة.

- أعلم ذلك، فضريبة الدخل باهظة في هذه الأيام. ولكن ألا يمكن تدبر الأمر؟ وسوف نقوم بسداده.

- يمكن تدبيره، ولكن هذا لن يحدث.

فنظرت فرنسيس نحو روزالين قائلة: روزالين، أنت سيدة كريمة.

فقاطعها دافيد بحدة قائلاً: ماذا تظنون روزالين يا آل كلود؟ أتظنونها بقرة حَلوباً تأتون إليها تطلبون وتسألون وتمدّون أيديكم؟ ثم ماذا تفعلون من خلفها؟ تتهكمون عليها وتحقدون عليها وتتمنون موتها.

فصاحت فرنسيس: هذا كذب وافتراء.

- أهو كذلك؟ لقد سئمتكم جميعاً وسئمَتكم هي الأخرى، ولتعلموا أنكم لن تحصلوا على بنس واحد منّا، فلتكفّوا عن حضوركم وتوسلاتكم. هل تفهمين؟

فهبّت فرنسيس من مكانها ووقفت جامدة، ثم لوّحت بقفازها قبل أن تضعه في يدها بطريقة ذات مغزى، ثم قالت: لقد أفصحتَ عما يختلج في نفسك يا دافيد.

في حين همهمت روزالين: أنا آسفة، أنا آسفة جداً.

فلم تُعِرها فرنسيس أي انتباه وكأنه ليس لها وجود ومشت صوب الشرفة، ثم توقفت لتواجه دافيد قائلة: لقد قلتَ إنني أحقد على روزالين، وهذا ليس صحيحاً. أنا لا أحقد على روزالين ولكنني أحقد عليك أنت.

- ماذا تعنين؟

- النساء يجب أن يعشنَ. لقد تزوجت روزالين برجل ثري يكبرها بسنين، ولم لا؟ وأما أنت فإنك تعيش عالة على أختك، تعيش في رغد بأموالها.

- أنا أقف حائلاً بينها وبين الوحوش التي تريد افتراسها.

وقف كل منهما يواجه الآخَر برهة، وشعر دافيد وهو يقف أمام فرنسيس كلود بأن أمامه عدواً له خطر لا يتورع عن أي شيء إن أراد، وأخيراً قالت فرنسيس وهي تتركه: سوف أذكر ما قلتَه يا دافيد.

عجب دافيد حين شعر بأن تلك الكلمات إنما قُصد بها التهديد، وفي تلك اللحظة سمع صوت روزالين تقول باكية: دافيد، ما كان يجب أن تقول لها ما قلتَ، فهي الوحيدة بينهم التي كانت تعاملني معاملة حسنة.

فصاح بها غاضباً: كفّي عن هذا أيتها الحمقاء. هل تريدين أن تتجرّدي من آخِر بنس لديك؟

- ولكن هذه الأموال ليست...

فحدجها بنظرة قاسية جعلتها تقول: أنا، أنا آسفة يا دافيد.

وقال دافيد لنفسه: هذه الفتاة عيبها الوحيد هو ضميرها الحي، ذلك الضمير الذي قد ينغص علينا المستقبل. المستقبل؟!

ثم قطب حاجبيه وهو ينظر إليها. أجل، مستقبل روزالين ومستقبله. إنه يعرف ماذا يريد الآن، أما روزالين فأيّ مستقبل ينتظرها؟

ومرت سحابة قاتمة بوجهه في حين أخذَت تبكي وترتعد وتردد: أنا أشعر بهم وكأنهم يسيرون فوق قبري.

فقال وهو يرمقها بنظرة غريبة: بدأت تشعرين بأن الأمر قد يصل إلى هذا الحد؟

- ماذا تعني يا دافيد؟

- أعني أن هناك بضعة أشخاص يودون لو يتمكنون من التعجيل بذهابك إلى القبر قبل أن يحين الوقت.

فقالت بصوت مرتعد: لا بد أنك لا تعني القتل. أتظن أن أناساً ظرفاء مثل آل كلود يُقدِمون على القتل؟

- الأناس الظرفاء مثل آل كلود هم الذين يُقدمون على القتل، ولكنهم لن ينجحوا في قتلك ما دمتُ هنا أَسهر على سلامتك. عليهم أن يزيلوني من طريقهم أولاً، وإذا حدث هذا فما عليك إلا أن تحافظي على نفسك.

- لا تقل ذلك يا دافيد.

فقبض على ذراعها قائلاً: أصغي إليّ، إذا حدث شيء ولم أكن هنا فعليك أن تحتاطي لنفسك يا روزالين، فالحياة ليست آمنة. تذكري ذلك دائماً.

-٩-

- رولي، هل لك أن تعطيني خمسمئة جنيه؟

وقف رولي ينظر إلى لين التي وقفت تلهث أمامه وقد شحب لونها ثم قال مهدّئاً: هدّئي من روعك يا فتاتي، ما هذا الذي تقولين؟

- أريد خمسمئة جنيه.

- ليس لديّ هذا المبلغ، فتلك المحراث التي ابتعتُها حديثاً...

- أعلم، أعلم، ولكن هل في استطاعتك أن تحصل على المبلغ؟ الأمر في غاية الأهمية.

ثم سردت له ما سمعته من دافيد عن أن أمها اقترضت خمسمئة جنيه، وما إن انتهت حتى قال رولي: ولِمَ لا؟

- هل توافق على اقتراضها من دافيد؟!

- هذه ليست أموال دافيد بل أموال روزالين، وليس هناك ما يمنع من أن تقوم بالمساعدة من آن لآخَر. هل نسيت أنها أرملة عمي جوردون؟ ألم يكُن عمي جوردون يمدّ يده إلينا بالمساعدة من آن لآخَر؟

- لا إخالك اقترضت منها أيضاً؟

- حسناً، الأمر صعب جداً إذ من غير المعقول أن أمدّ يدي لامرأة، كما هو الحال معك تماماً.

- أنا لا أريد شيئاً يربطني بدافيد هنتر.

- ليس هناك ما يربطك؛ فليست الأموال أمواله.

- بل هي كذلك في الواقع لأن روزالين واقعة تحت سيطرته تماماً.

- ولكنها ليست كذلك قانوناً.

- ولكن ألا يمكن أن تُقرضني بعض المال؟

- أصغي إليّ يا لين. لو أنك حقاً في مأزق لما توانيتُ عن بيع جزء من الأرض أو المحصول، وهو إجراء لن أقدم عليه إلا في حالة اليأس، فأنا كما ترين أحاول أن أقف على قدميّ، وأنا أقضي ليالي كثيرة ساهراً أعمل وأكدح، وهذا كثير بالنسبة لرجل واحد.

فقالت لين باستياء: أعلم ذلك، ولو أن جوني لم يُقتَل...

فصاح رولي بحدة: دعي جوني وحده ولا تتحدثي عنه.

ونظرت لين إليه بدهشة لتجد وجهه محتقناً وهو في حالة هياج، فاستدارت على عقبيها وغادرت المكان عائدة إلى البيت الأبيض. وفي المنزل التقت لين بأمها فحاولت أن تقنعها بإعادة ما اقترضته من روزالين ولكن دون جدوى، فقد كانت السيدة مارشمونت قد تصرّفت بالجزء الأكبر من المبلغ لسداد ديونها.

-١٠-

بعد مضي أسبوع عندما توقف قطار الخامسة والثلث بمحطة وارمسلي هيث هبط منه رجل برونزي البشرة طويل القامة يحمل حقيبة صغيرة، وما إن مر من باب المحطة حتى توقف عن السير وأخذ يتلفّت حوله حتى وقع بصره على اللافتة التي كُتب عليها: «طريق المشاة إلى وارمسلي فيل»، فسدد خطاه في الاتجاه وهو يسير في عزم ونشاط.

وفي «لونج ويللوز» كان رولي كلود قد فرغ من إعداد

الشاي لنفسه عندما سقط ظل امرأة على مائدة المطبخ، فرفع رأسه باستياء وهو يتوقع أن يرى لين، ولكن استياءه تحول إلى دهشة عندما وقع بصره على روزالين كلود. كانت ترتدي ثوباً زاهي الألوان مما ترتديه الريفيات، ولكنه رغم بساطته كان ثميناً، وكانت تبدو فيه وكأنها روزالين كلود أخرى، فقد كان الأصل الأيرلندي يبدو جلياً واضحاً بشعرها المجعّد الفاحم وعينيها الزرقاوين الجميلتين.

قالت بنغمات رقيقة تغشاها اللكنة الأيرلندية: وقت العصر جميل ولذلك أحببت أن أتمشّى. ثم أضافت: وقد ذهب دافيد إلى لندن.

ثم أخرجت علبة السجائر من حقيبتها وقدمت إحداها لرولي، ولكنه هز رأسه وأخذ ينظر حوله باحثاً عن الثقاب، فأخرجت ولاّعة ذهبية صغيرة وأخذت تحاول أن تشعلها دون جدوى، فتناولها منها رولي، وبحركة واحدة من إصبعه اشتعل فتيلها وانحنت روزالين لتشعل سيجارتها.

وتراجعت روزالين خطوتين ثم قالت بإعجاب: بقرة جميلة تلك التي تحتفظ بها في أول الحقل.

فدُهش رولي لاهتمامها بهذه الأشياء، ثم أخذ يحدثها عن الحقل، وكان كلما تابع الحديث ازداد عجبه لاهتمامها غير المتكلّف ولمعرفتها التامة بهذه الأشياء، وأخيراً قال لها وهو يبتسم: أنت بحق تصلحين لأن تكوني زوجة فلاح يا روزالين.

فمرت بوجهها سحابة حزن ثم قالت: لقد كنا نملك حقلاً في أيرلندا قبل أن أحضر إلى هنا، وقبل...

- قبل أن تلتحقي بالمسرح؟

بدا الارتباك عليها وأسرعت تقول: لم يكُن ذلك منذ أمد بعيد، فأنا أذكر كل شيء تماماً. ثم أضافت بمرح: في استطاعتي أن أحلب أبقارك لك يا رولي، الآن...

لقد كانت أمامه روزالين أخرى، ولكن هل كان دافيد هنتر يوافق أن يذكر شيئاً عن ماضٍ يتعلق بالحقل؟ بالطبع لا، فقد كان دافيد دائماً يحاول أن يبدو كسيد أيرلندي. وفي تلك اللحظة مر بخاطره تاريخ حياة روزالين وزواجها الأول في جنوب إفريقيا وانتقالها إلى أواسط إفريقيا ثم هربها وأخيراً زواجها ثانية بمليونير في نيويورك. أجل، لقد ارتحلت روزالين هنتر كثيراً منذ كانت تقوم بحلب الأبقار، ولكن لو أن أحداً رآها في تلك اللحظة لما اعتقد أنها مرت بكل تلك التجارب، فقد كانت البراءة ترتسم على وجهها مع شيء من بلادة الفهم، كان وجه فتاة ليس لها ماضٍ، كما أن سنها كانت تبدو أقل بكثير من الستة والعشرين عاماً التي عاشتها.

وأخرجه من تأملاته صوت روزالين تسأله بعدم ارتياح: فيمَ تفكر يا رولي؟

- هل تريدين أن تشاهدي المزرعة؟

- نعم، بالتأكيد.

وما إن انتهيا من ذلك حتى اقترح عليها رولي أن يعد لها قدحاً من الشاي، وفي الحال بدا الفزع في عينيها وأسرعت تقول: لا، شكراً لك يا رولي. يحب أن أعود إلى المنزل.

ثم نظرت إلى ساعة يدها وأضافت: لقد تأخرتُ، فسوف يعود دافيد بقطار الخامسة والثلث وسيتساءل أين أكون. يجب أن أسرع. ثم أضافت بخجل: لقد استمتعتُ بهذه الزيارة يا رولي.

وبقي رولي يتابعها بأنظاره وهي تسرع الخطى خارج المزرعة، وفيما هي تغادرها ظهر رجل من الناحية الأخرى فتساءل رولي: أهذا هو دافيد؟ ولكن الرجل كان أضخم، وتراجعَت روزالين خطوة لتدعه يمر ثم اندفعت إلى الأمام وهي تسرع خطاها.

كان رولي لا يزال واقفاً مكانه غارقاً في أفكاره عندما سمع صوتاً، فرفع رأسه بحدة فوقع بصره على رجل ضخم يضع على رأسه قبعة عريضة من الفلين ويحمل حقيبة صغيرة ويقف على الطريق الواقع في الناحية الأخرى من البوابة. سأله الرجل: هل هذا الطريق يؤدي إلى قرية وارمسلي فيل؟

وبقي رولي غارقاً في أفكاره فعاد الرجل يكرر سؤاله، وأخيراً عاد رولي إلى نفسه فقال: نعم، اتبع الطريق عبر الحقل التالي، وعندما تصل إلى الطريق العمومي انحرف إلى اليسار وسوف تصل إلى القرية بعد مسيرة بضع دقائق.

السؤال التالي كان عن فندق مناسب في القرية، وقد أجاب عنه دون تفكير: إما فندق ستاغ أو فندق بيلز آند موتلي. كلاهما سواء في المستوى، وسوف تجد غرفة شاغرة بالتأكيد.

كان رولي معتاداً مثل هذا السؤال، ولكنه شعر بعد لحظات بغرابة السؤال؛ فقد كان المعتاد في هذه الأيام أن يحجز الإنسان غرفته مقدَّماً في المكان الذي يقصده. ونظر إلى محدثه باهتمام.

كان رجلاً طويل القامة برونزي البشرة ملتحياً ذا عينين زرقاوين يبلغ الأربعين من العمر وتبدو القسوة والجرأة في قسمات وجهه.

ولاحظ رولي في لهجة الرجل لكنة أهل المستعمرات، وبقي ينظر إليه برهة إذ أحسّ أن وجهه ليس غريباً عنه، وأخذ يسائل نفسه أين رأى هذا الوجه من قبل، ولكن قبل أن يهتدي إلى الجواب إذا بالشخص الغريب يسأله: هل يمكنك أن تخبرني، هل يوجد منزل باسم فاروبانك قريب من هنا؟

ردّ رولي ببطء: نعم، هناك فوق التل، ولا بد أنك مررت بالقرب منه، هذا إذا كنت قد قدِمت من طريق المشاة من المحطة.

فأدار الغريب رأسه صوب التل قائلاً: إذن فهو ذلك البيت الكبير الحديث؟

وأخذ الرجل الغريب ينظر إلى أعلى التل بنظرة فاحصة ثم قال: ومن يقيم هناك؟ أهي السيدة كلود؟

- نعم، السيدة جوردون كلود.

فرفع الغريب حاجبيه وقد بدا عليه السرور قائلاً: السيدة جوردون كلود. هذا جميل.

ثم هز رأسه محيياً وقال: شكراً لك أيها الصديق.

وحمل حقيبته وأخذ طريقه صوب وارمسلي فيل تاركاً رولي وهو ما يزال يسأل نفسه: أين رأيته من قبل؟

* * *

ما إن وافت التاسعة والنصف مساء حتى نفد صبر رولي فلم يعد يطيق البقاء بالمنزل، وما هي إلا عشر دقائق حتى كان يدخل إلى قاعة الشراب بفندق ستاغ. وبعد أن تبادل التحية مع الحاضرين بقي يشاركهم الحديث عن الطقس والمحصول برهة، ثم أخذ يتحرك من مكانه حتى اقترب من بياتريس ليبينكوت التي تقوم بخدمة الزبائن وسألها بصوت خافت: هل نزل عندكِ أحد الأغراب؟ رجل ضخم؟

- نعم يا سيد رولي. لقد حضر في السادسة تقريباً، أيمكن أن يكون هو؟

- نعم، ومن يكون؟

ونظر إلى بياتريس مبتسماً، فابتسمت هي الأخرى، ووضعت يدها أسفل المكتب لتخرجها بعد قليل حاملة مجلداً ضخماً فتحته لتمر بالاسماء حتى وصلت إلى الاسم الأخير: «أينوك آردن. مدينة الكاب. بريطاني».

## -١١-

هبطت روزالين في صباح اليوم التالي لتتناول إفطارها وهي ترتدي زي الفلاحة وقد بدت عليها السعادة، ولا غرو فقد أخذت مخاوفها السابقة تتركها، وكان دافيد في حالة طيبة ويبدو أن زيارته للندن في اليوم السابق كانت على ما يرام. وما إن انتهت من الطعام حتى وصل البريد، وكانت معظم الخطابات من جمعيات تطلب إعانات أو دعاوى من بعض الأشخاص، فأخذ

دافيد يقلبها إلى أن وصل إلى المظروف الثالث ففضه، وكان الخطاب مثل الظرف مكتوباً على الآلة الكاتبة وقرأ فيه:

عزيزي السيد هنتر،

لقد فضلت أن أكتب إليك على أن أكتب لأختك السيدة كلود خوفاً من أن أسبب لها صدمة. وبالاختصار، لديّ أخبار عن الضابط روبرت أندرهاي. أنا أقيم في فندق ستاغ، وأرجو أن تأتي إليّ هذا المساء لنتحدث في الموضوع.

المخلص: أينوك آردن

ورفعت روزالين رأسها مبتسمة ولكن الابتسامة غاضت من شفتيها، وقد شعرت بانزعاج فصاحت: دافيد، دافيد! ما الخبر؟

ولم يتكلم دافيد بل ناولها الخطاب فقرأته بسرعة ثم قالت: لا أفهم يا دافيد. ما معناه؟

- أنتِ تستطيعين القراءة.

- ولكن... هل يعني هذا... وماذا تفعل يا دافيد؟

بقي دافيد مقطب الجبين وهو يرسم خطة سريعة، وأخيراً قال: لا داعي للجزع يا روزالين فسوف أتدبر الأمر. والآن أصغي إليّ فإليك ما تفعلينه: احزمي متاعك في الحال واذهبي إلى لندن وابقي في شقتنا هناك حتى أتكلم إليك. أتفهمين؟

- نعم، نعم، أفهم يا دافيد. ولكن...

ابتسم دافيد ابتسامة مطَمئنة قائلاً: افعلي ما أطلب يا روزالين. هيا اذهبي واحزمي متاعك وسأرافقك إلى المحطة، ففي استطاعتك أن تلحقي بقطار العاشرة والنصف، وعندما تصلين أخبري البواب بأنك لا تريدين أن تقابلي أحداً، وإذا سأل أحدٌ عنك فليخبره أنك لست موجودة. وامنحيه جنيهاً، أتفهمين؟

- ألا يمكن أن أبقى يا دافيد؟

- لا، بالطبع يا روزالين. كوني عاقلة، فأنا أريدك أن تكوني بعيدة كي تكون لي حرية التصرف مع هذا الشخص أياً كان، والآن هيا يا فتاتي العزيزة ولا داعي للنقاش.

* * *

عندما دخل دافيد إلى قاعة فندق ستاغ في ذلك المساء كان المكان خالياً كالمعتاد، فأخذ يضغط زر الجرس عدة مرات، وأخيراً ظهرت الآنسة بياتريس ليبينكوت فحيّته مبتسمة: طاب مساؤك يا سيد هنتر. الجو بارد في هذه الأيام على غير المعتاد، أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك. هل لديك أحد النزلاء باسم السيد آردن؟

أعادت السيدة ليبينكوت التفكير برهة ثم قالت: نعم، السيد أينوك آردن. الحجرة رقم ٥ بالطابق الأول.

فشكرها دافيد وأخذ طريقه إلى الحجرة المذكورة فنقر على الباب، ثم سمع صوتاً يطلب منه أن يدخل، ففتح الباب وتقدم إلى الداخل مُغلِقاً الباب خلفه. أما بياتريس ليبينكوت

فما إن تركها دافيد حتى نادت مساعدتها وطلبَت منها أن تأخذ مكانها وتقوم بخدمة الزبائن لتتمكن هي من تغيير بعض أغطية الفرش.

وقف دافيد هنتر بداخل الحجرة رقم ٥ ينظر إلى الرجل الجالس أمامه والذي لم يكُن يعرف عنه إلا أن اسمه أينوك آردن. قال آردن: مرحباً. هل أنت هنتر؟ تفضل واجلس.

أخذ كل منهما يرقب الآخَر في توثب وحذر، وبقيا كذلك برهة ثم قال المدعو أينوك آردن: هل دُهشت عندما وصل خطابي؟

- الواقع أنني لا أفهمه.

- لا، ربما...

- لقد فهمتُ أنك كنتَ تعرف زوج شقيقتي الأول روبرت أندرهاي.

- أجل. لقد كنتُ أعرفه معرفة تامة كما لم يعرفه أحد، أنت لم تقابله قط يا هنتر، أليس كذلك؟

- بلى، لم أقابله قط.

- هذا أفضل.

قال دافيد بحدة: ماذا تعني؟

فأجابه آردن بسهولة: هذا يجعل الأمور أسهل يا عزيزي، هذا كل ما في الأمر. أنا آسف لأنني طلبت منك أن تحضر، ولكنني رأيتُ من الأفضل أن تكون روزالين بمنأى عن ذلك فلا

داعي لأن تحمّلها آلاماً لا داعي لها.

- هلاّ دخلتَ في لب الموضوع؟

- بكل تأكيد، حسناً. ألم يخامرك الشك؟ ألم تلاحظ شيئاً مريباً في موت أندرهاي؟

- ماذا تعني بالله عليك؟

- حسناً، لقد كان أندرهاي رجلاً غريب الأطوار والأفكار، ولنفرض أنه من باب الشهامة (أو ربما لسبب آخَر) رأى في لحظة حرجة منذ بضع سنوات أن يظنه الناس ميتاً، وليس هذا الأمر الصعب فقد كان يعرف كيف يسوس الأهالي ولم يكُن ليجد صعوبة في إشاعة أي خبر يريده مع التفصيلات اللازمة، وما عليه بعد ذلك إلا أن يختفي ليظهر في مكان آخَر على بعد ألف ميل مثلاً ويبدأ حياته باسم جديد.

- هذا افتراض غريب!

- هل هو كذلك حقاً؟ لنفرض أن هذه هي الحقيقة يا هنتر.

- عندئذ سأطلب دليلاً قاطعاً على صحة ذلك.

- حقاً؟ حسناً، وإذا ظهر أندرهاي هنا في وارمسلي فيل فهل يكفيك ذلك دليلاً؟

- سيكون مقنعاً على الأقل.

- أجل، سيكون مقنعاً، ولكنه مزعج نوعاً ما، أعني بالنسبة للسيدة جوردون كلود، فلن تكون السيدة جوردون

كلود عندئذ. ألا ترى أن الأمر سيكون مؤلماً عندئذ؟

- لقد تزوجَت أختي زواجاً سليماً.

- طبعاً يا عزيزي ولا أشك في ذلك مطلقاً، وأي قاض سوف يقول مثل ذلك ولا يمكن أن يلومها أحد.

فقال دافيد بحدة: قاض؟

- كنتُ أفكر في أمر الجمع بين زوجين.

فقال دافيد بوحشية: أريد أن أعرف إلى أي شيء تهدف.

- لا داعي للانفعال، فما أردتُ إلا أن نشترك معاً لنفكر في أفضل حل بالنسبة لشقيقتك، فما من أحد يريد الفضيحة وقد كان أندرهاي شهماً دائماً وما زال.

- ما زال؟!

- هذا ما قلتُه.

- أنت تقول أن روبرت أندرهاي ما زال حياً، فأين هو الآن؟

مال آردن إلى الأمام وقال بهدوء: هل تريد أن تعرف حقاً يا هنتر؟ ألا ترى أن من الأفضل ألاّ تعرف؟ فكما أخبرتك أندرهاي رجل شهم، ولو أنه علم أن زوجته تزوجت ثانية وورثت مبلغاً كبيراً من المال لما قبِل بذلك، فهو لا يرضى لها أن ترث مالاً دون وجه حق، ولكن من المحتمل جداً أنه لم يعرف. ويا له من مسكين! فهو في حالة سيئة.

- ماذا تعني بقولكِ إنه في حالة سيئة؟

فقال آردن بحزن: أعني صحياً، فهو بحاجة إلى عناية خاصة وهذا يتطلب مالاً كثيراً لسوء الحظ، وأقول لسوء الحظ لأن أندرهاي لا يملك الآن إلا ما يسد به رمقه.

- هل كان روبرت أندرهاي رجلاً شهماً كما تصوّره؟

فقال الآخَر مؤكّداً: لقد كان كذلك، ولكنها الحياة. لقد كان جوردون كلود رجلاً واسع الثراء، ومنظر الثراء المفرط يحرك في الإنسان غرائزه الدنيئة.

فهب دافيد هنتر واقفاً وقال: جوابي هو أن تذهب إلى الجحيم.

وابتسم آردن قائلاً: هذا ما توقعتُ أن تقوله.

- لا بد أنك رجل تبتز الأموال لا أكثر ولا أقل، وقد فهمت غايتك.

- حسناً، قل ما تريد، ولكن إذا لم تشأ أن تشتري فهناك سوق أخرى.

- ماذا تعني؟

- أعني آل كلود، ألا تعتقد أنهم يتلهفون على خبر كهذا؟

فقال دافيد بسخرية: ولكنك لن تحصل على شيء منهم فهُم في حالة مالية سيئة.

- هذا يمكن تدبيره، فما من أحد سيرفض إقراضهم ما يطلبون وهو يعلم أنه إذا ثبت أن أندرهاي حي فستعود السيدة

جوردون كلود كما كانت السيدة روبرت أندرهاي، وبالتالي سوف تؤول كل ثروة جوردون إلى أقاربه حسب الوصية التي كتبها قبل زواجه.

وبقي دافيد صامتاً برهة ثم سأله بشراسة: كم تطلب؟

أجابه الآخَر بشراسة كذلك: عشرين ألف جنيه.

- هذا محال، فلا يمكن لشقيقتي أن تمسّ رأس المال بل الأرباح فقط.

- حسناً، عشرة آلاف إذن. وهو مبلغ يمكنها تدبيره، فلديها جواهر، أليس كذلك؟

بقي دافيد صامتاً وأخيراً قال: اتفقنا، ولكن يجب أن تعطينا فرصة لندبر المال.

وبقي الآخَر صامتاً وكأن السرعة التي انتصر بها أذهلته ثم قال: سأعطيك ثمانياً وأربعين ساعة، وليكن معلوماً أنني لا أقبل شيكات.

- سأدفع لك نقداً، ولكن لنجعل موعدنا يوم الثلاثاء القادم.

- حسناً، وسوف تحضر المبلغ هنا.

ثم أضاف قبل أن يتمكن دافيد من الحديث: فلن أقابلك في مكان مهجور أو على شاطئ نهر إذا كان هذا ما تفكر فيه. سوف تُحضر إليّ المبلغ هنا في التاسعة من مساء يوم الثلاثاء.

- حسناً، كما تريد.

ثم خرج دافيد من الحجرة وأخذ يهبط الدرَج وقد اسودّ وجهه غضباً. وبعد قليل خرجت بياتريس ليبينكوت من الحجرة رقم ٤ وقد احمرّت وجنتاها ولمعت عيناها من الانفعال. كانت الحجرة رقم ٤ تتصل بالحجرة رقم ٥ بباب، ولكن هذه الحقيقة لم يكُن ليلاحظها نزيل الحجرة رقم ٥، فقد كانت هناك خزانة أمام الباب تخفيه عن الأنظار.

-١٢-

كانت الشقة التي استأجرتها السيدة جوردون كلود تقع في الطابق الثالث من مبنى مايفير في حي شيروز كورث بلندن. وكانت تتكون من حجرة استقبال وحجرتي نوم وحمام، وفي حجرة الاستقبال أخذ دافيد هنتر يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً في حين كانت روزالين ترقبه وقد شحب لونها وبدا عليها الفزع، وكان هو يقول بين لحظة وأخرى: هذا ابتزاز، يا إلهي! هل أنا ممن يرضون أن تُبتَز أموالهم؟ آه لو أعرف!

ثم توقف ليقول فجأة: هل ذهبتِ بتلك الجواهر إلى جريثوركس في بوند ستريت؟

- نعم.

- وكم ثمنها؟

- أربعة آلاف جنيه.

- أجل، بإمكاننا أن ندبر المبلغ. ولكن ماذا بعد ذلك؟

سوف تكون هذه هي البداية وسوف يحاول أن يبتزّ آخِر ما لدينا.

فصاحت روزالين باكية: ألا نستطيع أن نغادر إنكلترا؟ ألا نستطيع أن نذهب إلى أيرلندا أو أمريكا أو أيّ مكان؟

فاستدار ليواجهها قائلاً: أنتِ مجرَّدة من روح النضال يا روزالين، أتريدينا على أن نهرب في حين أن الأمر قد لا يعدو خدعة؟ ألا يمكن أن يكون أندرهاي قد مات ودُفن حقاً في إفريقيا كما كنا نعتقد دائماً؟

فارتعدت قائلة: كفى يا دافيد، أنت تخيفني!

فأخذ ينظر إليها برهة ثم تقدّم نحوها وجلس قربها واضعاً يدها بين يديه ثم قال: لا تجزعي واتركي الأمر لي. ما عليك إلا أن تفعلي ما أطلب منك وسأجد الطريقة التي أراوغ بها السيد أينوك آردن.

- وهل تذهب إليه مساء الثلاثاء وتأخذ المبلغ معك؟

- سأحمل معي خمسة آلاف جنيه وأخبره بأن تدبير المبلغ الباقي قد يستغرق بعض الوقت، ولكن يجب أن أمنعه من الذهاب إلى آل كلود.

ثم توقف وأغمض عينيه، ولكن خلايا مخه كانت تعمل سريعاً. وفجأة ضحك ضحكة مرحة فيها كل معاني الاستهتار، ضحكة رجل مُقدِم على أمر خطير. ثم قال: أنا أستطيع أن أثق بك يا روزالين. أجل، أستطيع أن أثق بك تماماً.

فنظرت إليه بتساؤل قائلة: تثق بي؟ تثق بي أن أفعل ماذا؟

- أن تفعلي ما أطلب منك تماماً، وهذا هو سر نجاح أية عملية يا روزالين.

ثم أضاف ضاحكاً: عملية أينوك آردن.

-١٣-

فضّ رولي الخطاب وأخذ يقرأ محتوياته بذهول، وكان الخطاب من بياتريس ليبينكوت. ثم طوى الخطابَ واستغرق في التفكير برهة، وبعد قليل كان يسلك طريقه إلى فندق ستاغ فوصله بعد الثامنة. وبعد أن تبادل التحيات المألوفة مع الحاضرين اقترب من بياتريس التي تركت العمل لمساعِدتها وقادته إلى حجرة خاصة فيها بعض المقاعد المريحة.

كانت السعادة تغمر بياتريس وهي تجلس أمام رولي تنظر إليه، فقال بدهشة: ماذا هناك يا بياتريس؟

- حسناً يا سيد رولي، أنت تعرف ذلك السيد، السيد آردن الذي حضرت بالأمس لتسألني عنه.

- نعم.

- في الليلة التالية لزيارتك حضر السيد هنتر ليسأل عنه أيضاً.

بدا الاهتمام على وجه رولي فتابعت الفتاة تقول: لقد حدث في تلك الليلة أن ذهبتُ لإبدال أغطية الفراش في الحجرة رقم ٤، وأنت تعلم أن هناك باباً بينها وبين الحجرة رقم ٥ لا يفطن

إليه أحد. من المعتاد أن يكون هذا الباب مقفلاً ولكنني، ولا أدري السبب، وجدتُ الباب مفتوحاً في تلك الليلة، فلم يسعني إلا أن أسمع الحديث الذي دار بين السيد آردن والسيد هنتر.

ولم يقل رولي شيئاً فأخذت بياتريس تسرد عليه ما سمعته من حديث وهو في دهشة مما يسمع، ثم انتهت من ذكر ما سمعت وبقي رولي وقد استحوذ عليه الذهول. ومضت بضع دقائق على هذا الحال، ثم قام من مكانه وشكرها على اهتمامها ثم غادر المكان.

* * *

عندما ترك رولي الفندق كان ينوي أن يعود إلى بيته، ولكنه لم يكد يسير بضع خطوات حتى توقف عن السير وأخذ يفكر فيما سمعه من بياتريس ويقلب الرأي فيما يمكن اتخاذه من خطوات، وما إن وصل به التفكير إلى هذا الحد حتى وجد قدميه تقودانه صوب منزل عمه جيريمي كلود. نعم، يجب أن يعلم جيريمي بالأمر، فهو محام ويعرف ما يجب اتخاذه من إجراءات في هذه الأحوال. وعندما وصل إلى منزل عمه كان الأخير يتناول طعام العشاء مع زوجته فرنسيس، ولم يشأ رولي أن يقتحم عليهما حجرة المائدة بل فضّل أن ينتظر في حجرة المكتب حتى يفرغ عمه من تناول طعامه فيتمكن من الاختلاء به، فلم يكُن ليريد أن تعرف فرنسيس شيئاً عن الموضوع.

أخذ رولي يجيل أنظاره في أنحاء غرفة المكتب. وكانت الرفوف عامرة بكتب القانون وعلى أحدها صورة قديمة لفرنسيس وهي في ثوب السهرة وأخرى لأبيها اللورد إدوارد

ترنتون في ملابس الركوب، وعلى المكتب صورة شاب في مقتبل العمر يرتدي الزي الحربي وهو أنتوني ابن جيريمي الذي قُتل في الحرب. ففزع رولي واستدار وجلس على أحد المقاعد ونظره لا يزال عالقاً بصورة اللورد إدوارد ترنتون.

وفي حجرة الطعام كانت فرنسيس تقول لزوجها: عجباً! ماذا يريد رولي؟

فقال جيريمي بإجهاد: ربما خالف القانون في شيء، فهو من النوع الذي يقلق لأتفه الأشياء.

- إنه لطيف ولكنه بطيء الفهم، وأعتقد أن الأمور ليست على ما يرام بينه وبين لين.

- لين؟ نعم، بالتأكيد. آسف لأن أفكاري مشتتة فتلك المسألة...

فأسرعت فرنسيس تقول: دعك من التفكير فيها فسوف يكون كل شيء على ما يرام.

- أنتِ تخيفينني يا فرنسيس أحياناً، فأنت متهورة إلى أقصى حد ولا تقدّرين...

- أنا أقدر كل شيء ولست خائفة، بل إن الأمر يسليني إلى أقصى حد.

- وهذا ما يقلقني يا عزيزتي.

فابتسمت قائلة: والآن هيا، فلا داعي لأن تتركه ينتظر أكثر من ذلك.

ولكنِ ما إن غادرا حجرة المائدة حتى دُفع الباب الخارجي بشدة وأقبلَت الخادمة لتخبرهما بأن السيد رولي قد رحل بعد أن أخبرها بأنه لن ينتظر لأن الأمر الذي أتى من أجله لم يكُن من الأهمية بمكان.

-١٤-

كان ذلك بعد ظهر الثلاثاء عندما خرجت لين لتتمشّى ولتخلو إلى نفسها تفكر، فقد كانت تشعر بمزيج من عدم الاستقرار وعدم الرضا عن نفسها. وقادتها قدماها إلى قرية وارمسلي فيل حيث وقع بصرها على خالها جيريمي كلود وقد بدا عليه الهرم منذ رأته آخر مرة منذ ثلاثة أسابيع. وأسرعت لين خطاها لتخرج من وارمسلي فيل إلى التلال والفضاء وهناك تستطيع أن تفكر بهدوء.

وعلى جذع شجرة فوق منحدر أحد التلال جلست لين وقد أخفَت وجهها بين كفيها وأخذ السؤال الذي طالما حيّرها يعود إليها: هل هي حقاً تريد أن تتزوج رولي؟ وقادها هذا السؤال إلى أن تعود بذاكرتها إلى الوراء. لقد كانت تحب رولي فيما مضى قبل أن تلتحق بالجيش ولكن كل شيء قد تغير.

وبدأت الشمس تختفي عند الأفق ولاح دخان أحد القطارات يتصاعد في الجو ليرسم علامة استفهام، وكأنه كان يتساءل معها: هل أتزوج رولي؟ هل أريد أن أتزوج رولي حقاً؟ واختفى القطار وأخذ الدخان يتبدد، ولكن علامة الاستفهام بقيت عالقة في مخيلتها. وفجأة سمعت وقع أقدام تطأ الأعشاب

خلفها، وحين التفتت صاحت: دافيد.

فقال بدهشة: لين، ماذا تفعلين هنا بالله عليكِ؟!

ولاحظت لين أنه كان يعدو، فقد كان يلهث وأنفاسه تتلاحق، ولم تحاول أن تسأله بل أجابت: لا أدري، لقد كنت أفكر قليلاً. ثم أضافت وهي تضحك بتكلف: أعتقد أن الوقت متأخر.

- أليسَت لديك فكرة عن الوقت؟

فنظرَت إلى ساعة يدها ثم قالت: لقد توقفَت، أنا أُفسد الساعات دائماً.

ثم اقترب منها فهبّت واقفة على قدميها في ارتباك وهي تقول: الليل قد يرخي سدوله بسرعة ويجب أن أسرع بالعودة. كم الساعة يا دافيد؟

- التاسعة والربع، ويجب أن أطلق ساقيّ للريح لألحق بقطار التاسعة والثلث للذهاب إلى لندن.

- لم أعلم بعودتك.

- لقد عدتُ لآخذ بعض الأشياء من فاروبانك، ولكن يجب أن أدرك القطار فروزالين بمفردها في الشقة وهي تخشى أن تقضي الليل وحدها في لندن.

- تخاف في شقتها؟!

قال دافيد بحدة: إن الخوف والمنطق لا يتفقان، فمنذ تلك الغارة...

وشعرت لين بالخجل فأسرعت تقول: أنا آسفة، فقد نسيتُ حقاً تلك الغارة المخيفة التي أزعجتها.

لكنه أسرع قائلاً: سوف يفوتني القطار. واندفع هابطاً التل في حين أخذت تناديه فأدار رأسه وهو يصيح: سأتصل بك هاتفياً عندما أصل إلى لندن.

وبقيت ترقبه حتى اختفى عن أنظارها، فتركت مكانها لتعود أدراجها إلى المنزل وهي تشعر بقلبها يدق دقات غريبة. وأخذت لين ترتقي الدرَج في حذر خشية أسئلة أمها، ولم يستقر بها المقام في حجرة نومها إلا قليلاً. ألم يقل دافيد إنه سيتصل بها حال وصوله إلى لندن؟

* * *

قالت أديلا بارتياح: أهذه أنت يا لين؟ لم أسمعك عندما يا عزيزتي. هل حضرت منذ مدة طويلة؟

- نعم، منذ أجيال! وقد كنتُ في حجرتي.

- يجب أن تشعريني عندما تعودين ليطمئن قلبي يا لين، فأنا أخشى عليك وخاصة بعد ما ذكرَته الجرائد، فهؤلاء الجنود المسرحون يعتدون على الفتيات... هلاّ أصغيت إليّ يا عزيزتي لين؟

وخرجت لين نفسها من تفكيرها بصعوبة لتقول: ماذا كنت تقولين يا أماه؟

- كنت أتحدث عن حفلة زواجك. ألا ترين أنه يجب أن تُدعى إليها الفتاة ماكراي، فقد كانت أمها صديقة عزيزة.

- أنا أكره جوان ماكراي.

- ولكن يا عزيزتي...

- أليست حفلة زواجي يا أماه؟

- نعم يا لين، ولكن...

- هذا إن كان هناك زواج أصلاً.

ولم تكُن تودّ أن تقول ذلك، ولكن الكلمات اندفعت على غير وعي منها. كان يجب أن تضبط أعصابها ولكن ها قد فات الأوان، فقد أخذت السيدة مارشمونت تحملق إلى وجه ابنتها بذعر ثم قالت: ماذا تعنين يا عزيزتي لين؟

- لا شيء يا أماه.

- هل تشاجرتِ أنت ورولي؟

- لا، ولا داعي لأن تنزعجي يا أماه فكل شيء على ما يرام.

وبقيت السيدة مارشمونت تنظر إلى ابنتها دون أن تقول شيئاً، ثم أخذ جرس الهاتف يرن فأسرعت لين إليه ورفعت السماعة، وإذا بصوت العمة كاثي تقول: أهذه أنت يا لين؟ كم أنا سعيدة. لقد اقترفتُ خطأ بخصوص ذلك الاجتماع.

وبقيت لين تصغي تارة وتعلق تارة أخرى وتطمئنها تارة ثالثة، وأخيراً سمعت العمة كاثي تقول: من رأيي أن الإنسان لا يخرج من خطأ إلا ويقع في خطأ آخَر، فهاتف المنزل متعطّل وقد هبطتُ لأتحدث إليك من هاتف عمومي، وماذا حدث؟ لم أجد

معي بنسين فلم يكُن معي سوى بنس واحد واضطررت...

واستمرت لين تصغي حتى انتهت، ثم أعادت السماعة إلى مكانها لتجيب عن تساؤل أمها قائلة: تلك عمتي كاثي.

ثم جلست لين تحاول أن تقطع الوقت بالمطالعة وهي تنظر بين لحظة وأخرى إلى الساعة، وفي الحادية عشرة إلا خمس دقائق رنّ جرس الهاتف مرة أخرى، وسمعت صوتاً يقول: ٤٣ وارمسلي فيل؟ هل تستطيع الآنسة لين مارشمونت أن تتلقى مكالمة شخصية من لندن؟

فكاد قلبها يتوقف وأسرعت تقول: هذه لين مارشمونت تتحدث.

- انتظري قليلاً.

وبقيت تنتظر وهي تسمع أصواتاً مختلفة تلاها سكون، ثم صوت امرأة ثانية تقول: أعيدي السماعة إلى مكانها من فضلك وستُطلَبين فيما بعد.

فأخذت تجر أذيالها صوب حجرة المائدة، وفجأة دوى جرس الهاتف ثانية فأسرعت ترفع البوق، وإذا بصوت رجل يقول: ٣٤ وارمسلي فيل؟ مكالمة شخصية للآنسة لين مارشمونت.

- ها أنا ذا.

- لحظة واحدة من فضلك.

وفجأة سمعت صوت دافيد يقول: أهذه أنتِ يا لين؟

- دافيد؟

- أصغي إليّ يا لين. من الأفضل أن أرحل.

- ماذا تعني؟

- أعني أن أرحل عن إنكلترا، وهو أمر سهل. لقد تظاهرتُ مراراً أمام روزالين بعكس ذلك، وقد كنتُ أريد البقاء في وارمسلي فيل، ولكن ما فائدة كل هذا؟ أنا لا أصلح لك، فأنت فتاة رائعة يا لين أما أنا فشخص معوجّ وكنتُ كذلك دائماً، ولا تُمنّي نفسك بأنه يمكن إصلاحي لأنني لن أستطيع. نعم، من الأفضل أن تتزوجي رولي حيث تنعمين براحة البال أما أنا فما حولي إلا الشقاء.

وبقيت لين صامتة، ثم سمعته يقول: لين، أما زلت تنصتين؟

- نعم.

- أنتِ لم تقولي شيئاً.

- ماذا هناك لأقوله؟

- لين.

- ماذا؟

ثم سمعته يصيح قائلاً: ليذهب كل شيء إلى الجحيم.

وقطع الاتصال، وعادت لين إلى حجرة الاستقبال وإذا بالسيدة مارشمونت تسألها: هل...

فقاطعتها تقول بسرعة: كان الرقم خطأ.

واندفعت تصعد الدرَج إلى حجرتها.

## -١٥-

كان المألوف في فندق ستاغ بأن تقوم الخادمة بإيقاظ النزلاء في الأوقات التي يحددونها بأن تطرق أبواب حجراتهم وتصيح معلنة الوقت، ثم تترك الصواني المحمّلة بالأقداح أمام حجرات مَن اعتادوا تناول الشاي مبكراً. وفي صباح يوم الأربعاء أخذت جلاديز تقوم بمهمتها فطرقت باب الحجرة رقم ٥ وصاحت معلنة الساعة الثامنة والربع، ثم تركت أقداح الشاي أمام باب الحجرة وتابعت مهمتها.

وكانت الساعة العاشرة عندما تنبهت الفتاة إلى أن أقداح الشاي ما زالت مكانها كما تركتها أمام باب الحجرة رقم ٥، وفي الحال طرأ لها خاطر إذ لا يمكن أن يكون نزيل الحجرة لا يزال نائماً فهو ليس بالرجل الكثير النوم، وليس هناك إذن سوى تعليل واحد هو أن الرجل قد غادر الفندق عن طريق نافذة حجرته التي تطل على سطح قريب دون أن يدفع حسابه.

ولكن خاب ظنها، فما كادت تفتح باب الحجرة وتتقدم بضع خطوات حتى توقفت، فقد كان أينوك آردن نزيل الحجرة رقم ٥ ملقىً على وجهه وسط الحجرة وقد تهشمت جمجمته!

صرخت الفتاة واندفعت خارجة من الحجرة وهي لا تزال تصرخ، وتصادف أن كان الدكتور ليونيل كلود في حجرة بياتريس ليبينكوت الخاصة في تلك اللحظة يضمد جرحاً في يدها، وبعد لحظة كان ثلاثتهم يندفعون إلى داخل الحجرة رقم ٥، وجثا الدكتور كلود بجوار الجثة ثم رفع رأسه وقطب جبينه وقال بلهجة آمرة: استدعي رجال الشرطة في الحال، فقد قُتل الرجل.

## -١٦-

جلس المفتش سبنس غارقاً في التفكير وفي يده الورقة التي دوّن فيها المعلومات التي ألقتها بياتريس ليبينكوت، وأمامه على المائدة ساعةُ يدٍ تحطّم زجاجها وولاّعة ذهبية صغيرة تحمل حرفين وإصبع أحمر شفاه في غلافه المذهّب، وآلة من الصلب الثقيل على هيئة كماشة لوضع الفحم في المدفأة وقد تلطخ الجزء السميك منها بالدماء.

وقطع عليه حبلَ تفكيره صوتُ الشرطي غريفز يعلن وصول السيد رولي كلود، وبعد أن تبادلا التحية قال سبنس: هل في استطاعتك أن تلقي ضوءاً على هذه المشكلة يا سيد رولي؟ أعني مسألة الرجل الذي قُتل في فندق ستاغ.

ودُهش سبنس عندما سأله رولي فجأة: هل عرفتم شخصية الرجل؟

- لا. لقد سجل اسمه في الفندق على أنه أينوك آردن، ولكننا لم نعثر على شيء في حوزته يؤكد أن هذا اسمه.

- أليس هذا غريباً؟

وقد كان الأمر غريباً حقاً، ولكن المفتش سبنس لم يكُن يود أن يناقش هذا الموضوع فقال: لقد ذهبتَ ليلة أمس لزيارة القتيل يا سيد رولي، أليس كذلك؟ لماذا؟

- هل تعرف بياتريس ليبينكوت يا حضرة المفتش؟

- نعم، بالتأكيد؛ فقد كانت هنا منذ قليل وقد حضرت

لتدلي إليّ بما لديها من معلومات.

- هذا عظيم، كنتُ أخشى أن تطوي الأمر عنكم. حسناً، عندما أخبرَتني بياتريس بما سمعَت أخذتُ أقلب الأمر في رأسي، فلو أن زوج السيدة جوردون الأول لا يزال حياً فسوف تتغير الأمور بالنسبة لنا جميعاً. حسناً، أخذتُ أقلب الأمر في رأسي كما قلت لك، وطرأ لي أن ألجأ إلى عمي المحامي.

- السيد جيريمي كلود؟

- نعم، فذهبت إليه، وكان ذلك بعد الثامنة، فوجدته يتناول عشاءه. وجلست أنتظره في حجرة المكتب برهة، ثم رأيت أنه لا فائدة تُرجى من إخبار عمي فبُطء أولئك المحامين معروف ولا يمكن أن يتخذوا إجراء قبل أن يتحققوا من صحته، لذلك قررت أن أذهب بنفسي وأقابل ذلك الشخص في فندق ستاغ.

- وهل فعلتَ ذلك؟

- نعم، فقد عدتُ ثانية إلى فندق ستاغ.

- وكم كانت الساعة حينذاك؟

أخذ رولي يُعمل فكره برهة ثم قال: لا أدري تماماً، ولكن الوقت كان بعد الثامنة والنصف على أية حال.

- حسناً يا سيد كلود، وماذا بعد ذلك؟

- توجهتُ حال وصولي إلى حجرة الرجل، فقد كنتُ أعرف رقم الحجرة من حديثي مع بياتريس. وطرقت الباب فسمعته يقول «ادخل»، فدخلت.

وصمت رولي قليلاً ثم تابع: ولكن يبدو لي أنني لم أحسن التصرف، فعندما دخلتُ كنت أعتقد أنني مسيطر على الموقف، ولكن عندما رميته بالتهديد وابتزاز الأموال ضحك باستخفاف وسألني إذا كنت من المشترين، فسألته ماذا يعني فقال: كم تريد أن تدفع (أو على الأصح العائلة) إذا قدمتُ لكم أدلة قاطعة على أن روبرت أندرهاي لم يمت في إفريقيا كما ذُكر من قبل وأنه لا يزال حياً؟ فسألتُه ما الذي يدعونا لأن ندفع له شيئاً على الإطلاق، فضحك قائلاً: "لأن هناك مشترياً سيحضر الليلة ويدفع مبلغاً محترماً مقابل الأدلة القاطعة على أن روبرت أندرهاي قد مات". ولا أخفي عليك يا سيدي المفتش، لقد فقدت سيطرتي على أعصابي وذكرتُ له أن عائلتي لا يمكن أن تقدم على عمل قذر كهذا، وأنه لو كان روبرت أندرهاي لا يزال حياً فسوف يكون من السهل التحقق من ذلك. ثم تركته، ولكنني لم أكد أصل إلى الباب حتى ضحك ضحكة غريبة وقال: لن تستطيع إثبات شيء دون معاونتي.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- عدت إلى منزلي وأنا مبلبل الفكر، وقد تولاني الندم لأنني لم أترك الأمر من البداية بين يدي عمي جيريمي فهو أكثر مني حنكة في التعامل مع أمثال هؤلاء.

- وكم كانت الساعة عندما غادرتَ فندق ستاغ؟

- لا بد وأن ذلك كان قبل التاسعة، فقد سمعتُ الدقات التي تسبق نشرة الأخبار عندما كنت في طريقي إلى المنزل.

- وهل ذكر لك آردن هذا مَن يكون الشخص الذي يتوقعه،

أعني المشتري الذي كان ينتظره.

- لا، ولكنني كنتُ واثقاً من أنه كان يعني دافيد هنتر، فمَن يكون سواه؟

- ألم يكُن بادي الانزعاج؟

- بل كان على النقيض، واثقاً من نفسه وكأن مفتاح الموقف في يده.

وأشار سبنس بيده إلى الآلة الحديدية الثقيلة قائلاً: وهل لاحظتَ وجود هذه في المدفأة يا سيد كلود؟

- هذه؟ لا، لا أظن ذلك، فلم تكُن المدفأة موقَدة.

ثم قطب جبينه وهو يحاول أن يذكر المشهد وقال: لقد رأيت قطعتين من الحديد في المدفأة ولكنني لم أعرف ما هما، ولكن هل هذه...

- نعم، لقد تهشمت جمجمته بهذه.

- هذا غريب؛ فهنتر رجل خفيف البنيان بعكس آردن الذي كان ضخماً قوياً.

- لقد أثبت الفحص الطبي أنه ضُرب من الخلف وأن الضربات كانت بالجزء الصلب من الآلة، وأنها انهالت عليه من فوق.

فقال رولي متفكراً: حقاً لقد كان الرجل واثقاً من نفسه! ولو أنني مكانه لما أدرت ظهري لشخص أريد أن أستنزف أمواله، وخاصة أن ذلك الشخص محارب قديم.

وتوقف رولي ثم أضاف: كم أتمنى لو أنه لم يمت، وكم أتمنى لو أنني عرفتُ كيف أتعامل معه! كان يجب أن أتظاهر بأنني أتيت إليه لأفاوضه، ولكن الأمر كان غريباً.

فقال المفتش وهو يلتقط الولاّعة الذهبية: هل رأيتَ هذه من قبل؟

قطب رولي وقال ببطء: نعم، لقد رأيتها من قبل ولكن لا أستطيع أن أذكر أين.

وأعادها سبنس مكانها وتناول إصبع أحمر الشفاه، وأزاح غطاء الغلاف قائلاً: وهذا؟

فابتسم رولي قائلاً: في الواقع أنا لا أفهم في هذه الأشياء يا حضرة المفتش. ثم أضاف وهو يقوم من مكانه: أنتم معشر رجال الشرطة تدققون في أتفه الأشياء، ومع ذلك لم تتوصلوا لمعرفة شخصية القتيل.

- وهل لديكَ فكرة يا سيد كلود؟

- لقد كنت أتساءل... أعني أن هذا الرجل كان بمثابة الدرَج الذي يؤدّي إلى أندرهاي، أمَا وقد مات فسيكون البحث عن أندرهاي بمثابة البحث عن إبرة وسط كومة من القش.

- لا تنسَ أن الجرائد سوف تكتب في هذا الأمر، فلو أن أندرهاي لا يزال حياً فسوف يقرأ الأخبار وقد يتقدم معلناً وجوده.

- أجل، وقد...

- ألا ترى ذلك؟

- أرى أن دافيد هنتر قد ربح الجولة الأولى.

* * *

قال سبنس بعد أن تركه رولي موجّهاً حديثه للشرطي غريفز ونظره عالق بالحرفين «هـ د» المنقوشَين على الولاعة: هذه ولاّعة ثمينة وأريد أن تستدل على صانعها، ولن يكون هذا صعباً فلن يتعدى البحث متاجر الجواهر في شارع بوند.

- سمعاً وطاعة يا سيدي.

ثم نقل المفتش نظره إلى ساعة اليد، وقد كان زجاجها مهشماً وعقرباها يشيران إلى التاسعة وعشر دقائق، ثم قال: هل أعددتَ تقريراً عن هذه يا غريفز؟

- نعم يا سيدي، وقد وجدتُ أن زنبركها مكسور.

- وأي دليل تستطيع أن تستخلصه من الساعة يا غريفز؟

قال غريفز بحذر: في استطاعتنا أن نعرف الوقت الذي ارتُكبت فيه الجريمة.

- آه، أنت حديث في الخدمة، وعندما تطول مدة خدمتك فسوف تنظر إلى الأشياء نظرة أخرى. من الممكن أن تكون مصيباً في قولك، ولكنني أعتقد أنها مجرّد حيلة، ففي استطاعة أي شخص بعد أن يرتكب جريمته أن يدير عقربَي الساعة إلى الوقت الذي يختاره ليدلّل على وجوده في مكان آخر ثم يحطم الساعة وبذلك يبعد عن نفسه الشبهات، وعلى ذلك فلن أستند إلى

دليل الساعة، أما الفحص الطبي فقد أثبت حدوث الجريمة بين الثامنة والحادية عشرة مساء، وعلى ذلك فسوف نحصر شبهاتنا في كل مَن كان قريباً من المكان في تلك الفترة.

قال الشرطي غريفز متنحنحاً: لقد ذكر أدواردز، مساعد البستاني في فاروبانك، أنه رأى دافيد هنتر يخرج من باب جانبي في المنزل في الساعة السابعة والنصف، وهذا يدل على أنه كان موجوداً قريباً من المكان في ذلك الوقت.

- أجل، ولكن علينا أن نسمع أقوال هنتر أولاً.

- أرى أنها قضية واضحة يا سيدي.

قال ذلك وهو ينظر إلى الحرفين المنقوشين على الولاعة، فقال المفتش: هناك مسألة أخرى، وهي وجود إصبع أحمر الشفاه تحت إحدى قطع الأثاث.

- من المحتمل يا سيدي أن يكون قد تدحرج وظل كذلك منذ مدة.

- لقد بحثتُ هذا الأمر وعلمت أن الحجرة لم تشغلها امرأة منذ ثلاثة أسابيع، وعلى الرغم من أن الخدمة في هذا الفندق ليست على ما يرام لكنني أعتقد أنهم ينظفون ما تحت الأثاث مرة كل ثلاثة أسابيع، ففندق ستاغ يبدو نظيفاً دائماً.

- ولكن لم يُشِر أحدٌ إلى أن آردن كان على علاقة بإحدى النساء.

فقال المفتش: أعلم ذلك، ولذا فأنا أعتقد أن إصبع أحمر الشفاه هذا هو الدليل على الجزء المجهول من القضية.

## -١٧-

كانت خطوة المفتش سبنس التالية أن قام بزيارة مبنى مايفير، حيث تقطن السيدة جوردون كلود في شقة بالطابق الثالث، وقبل أن يستقل المصعد دق الجرس طالباً البواب الذي وافاه بعد قليل في ثيابه الرسمية، فأبرز له المفتش بطاقته وأخذ يوجه إليه بعض الأسئلة، فعلم منه أن السيدة جوردون كلود والسيد دافيد هنتر حضرا إلى الشقة يوم السبت وأنهما كانا يخرجان لتناول غدائهما وعشائهما في مطعم قريب، أما الأفطار فكانت إدارة المبنى تقوم بإعداده لهما، فسأله المفتش: وهل في استطاعتك أن تعرف ما إذا كان طعام الإفطار قد أُرسل إليهما هذا الصباح أم لا؟

- نعم يا سيدي، بوسعي أن أتحقق من ذلك.

- حسناً، سوف أصعد الآن ودعني أعرف الرد عندما أنزل.

- سمعاً وطاعة يا سيدي.

واستقل سبنس المصعد إلى الطابق الثالث، وكان مكوناً من شقتين، فضغط زر جرس الشقة رقم ٩ ففتح دافيد هنتر الباب وقال بحدة: حسناً، ماذا تريد؟

- هل أنت السيد هنتر؟

- نعم.

- أنا المفتش سبنس من قوة شرطة أوستشاير.

فابتسم دافيد قائلاً: أنا آسف يا حضرة المفتش. تفضل بالدخول.

وقاده إلى حجرة أنيقة حيث وقفت روزالين كلود، فقال هنتر: هذا هو المفتش سبنس يا روزالين. تفضل بالجلوس يا حضرة المفتش.

كانت روزالين قد أدارت رأسها قليلاً عند دخول المفتش، ولكنها الآن جلست موالية ظهرها إلى النافذة وقد شبكت يديها في حِجرها. وأخرج دافيد صندوق السجائر قائلاً: هل تدخّن؟

فتناول سبنس سيجارة وبقي ينتظر وهو يراقب دافيد الذي وضع يده في جيبه كمن يبحث عن شيء، ثم أخرجها وقد قطب جبينه وتلفّتَ حوله، ثم تناول علبة الثقاب وأشعل سيجارة المفتش ثم قال بسهولة: حسناً، ماذا حدث في وارمسلي فيل؟ هل اكتشفتم أن الطاهية تتاجر في السوق السوداء؟

- لا، بل هو أكثر من ذلك. لقد مات رجل في فندق ستاغ في الليلة الماضية، وربما قرأتَ الخبر في الصحف.

فهزّ دافيد رأسه قائلاً: لا، لم ألاحظ هذا النبأ، ولكن ماذا عنه؟

- لم يمت فجأة ولكنه قُتل، هُشّمت جمجمته تهشيماً.

- أرجو ألاّ نطيل في شرح التفصيلات يا حضرة المفتش فشقيقتي مرهفة الشعور ولا تتحمل سماع ذكر الدماء، وقد يغمى عليها.

- أنا آسف.

وبقي صامتاً، فرفع دافيد حاجبيه قائلاً: وما علاقتنا نحن بذلك؟

- كل ما نرجوه هو أن تذكر لنا شيئاً عن هذا الرجل يا سيد هنتر.

- أنا؟

- لقد قمتَ بزيارته مساء السبت الماضي، وأعتقد أن اسمه (أو الاسم الذي ذكره في الفندق) هو أينوك آردن.

- نعم بالتأكيد، أنا أذكر الآن.

قالها دافيد بهدوء ودون أي انزعاج، فقال المفتش: حسناً يا سيد هنتر؟

- ولكنني أخشى أن أكون بغير فائدة، فلا أعرف شيئاً عن الرجل.

- هل اسمه الحقيقي هو أينوك آردن؟ ولماذا ذهبتَ لزيارته؟

- أنا أشكّ في ذلك كثيراً. أما قصته فإنها قصة رجل سيئ الحظ، وقد ذكر لي بعض الأماكن وأشياء عن الحرب وأسماء أشخاص، وأعتقد أن كل ما كان يرجوه هو المساعدة.

- وهل أعطيته شيئاً من المال يا سيدي؟

فصمت دافيد ثم قال: ورقة من فئة الخمسة جنيهات، فقد اشترك في الحرب.

- وهل ذكر لكَ أسماء أشخاص كنتَ تعرفهم؟

- نعم.

- وهل كان اسم الضابط روبرت أندرهاي أحد تلك الأسماء؟

أصابت جملته الأخيرة الهدف، فقد تصلّبت عضلات دافيد في حين خرجت صيحة مكتومة من روزالين التي كانت تجلس خلفه، وأخيراً قال دافيد بحذر: وماذا يجعلك تعتقد ذلك يا حضرة المفتش؟

- تلك هي المعلومات التي حصلنا عليها.

ومرت فترة صمت كان المفتش خلالها يرقب دافيد الذي أخذ يتفرس فيه برهة محاولاً معرفة ما يدور برأسه، وأخيراً سأله: هل لديك فكرة عمّن يكون روبرت أندرهاي يا حضرة المفتش؟

- أرى أن تخبرني أنت يا سيدي.

- لقد كان روبرت أندرهاي زوج شقيقتي الأول، وقد مات منذ سنوات في إفريقيا.

- وهل أنتَ واثق من ذلك يا سيد هنتر؟

- بكل تأكيد، أليس كذلك يا روزالين؟

فأجابت بصوت خافت: بلى، لقد مات روبرت بالحمى، وقد كان أمراً مؤسفاً حقاً.

- في بعض الأحيان تنتشر الروايات دون أن يكون لها نصيب من الصحة يا سيدة كلود.

بقيت صامتة تنظر إلى أخيها وأخيراً قالت: لقد مات روبرت.

- لديّ من المعلومات ما يشير إلى أن ذلك الرجل، أينوك آردن، كان يدّعي أنه كان صديقاً لروبرت أندرهاي وأنه أخبرك يا سيد هنتر بأن روبرت أندرهاي لا يزال حياً.

فحرك دافيد رأسه قائلاً: هراء.

- وهل تقرر أن اسم روبرت أندرهاي لم يُذكر بينكما؟

فابتسم دافيد ابتسامة ساحرة وقال: لقد ذُكر، فقد كان المسكين يعرف أندرهاي.

- ألم يكُن يحاول أن يبتز منك مالاً يا سيد هنتر؟

- ماذا تعني يا حضرة المفتش؟

- ألا تفهم ماذا أعني يا سيد هنتر حقاً؟ وبالمناسبة، أين كنتَ مساء أمس ما بين السابعة والحادية عشرة؟

- وماذا لو رفضتُ الإجابة؟

- ألا ترى أنكَ تتصرف تصرفاً غير لائق يا سيد هنتر؟

- لا أظن ذلك، فأنا أكره أن يتحداني أحد.

وشعر المفتش بأن هذه هي الحقيقة، فكم من مرة رأى شهوداً أمثال دافيد هنتر يسلكون طريق العناد، لا لأنهم كانوا يحاولون إخفاء شيء بل لمجرَّد العناد. عندما توجه المفتش سبنس إلى مبنى مايفير كان واثقاً من أن دافيد هنتر قاتل، أما الآن ولأول مرة فقد أخذ الشك يتسرب إليه.

ونظر سبنس إلى روزالين كلود فاستجابت في الحال لنظراته وقالت لدافيد: لِمَ لا تخبره يا دافيد؟

- أخبريه يا سيدة كلود، فما نقصد إلا أن تنجلي الأمور.

فقاطعه دافيد بوحشية: كف عن مضايقة أختي... أتفهم؟ ماذا يهمك أين كنتُ، هنا أو في وارمسلي فيل أو في خط الاستواء؟

فقال سبنس محذّراً: سوف تُستدعى للتحقيق يا سيد هنتر، وعندئذ ستجد نفسك مضطراً للإجابة.

- سوف أنتظر التحقيق إذن، والآن لتذهب من هنا إلى الجحيم.

فقال المفتش وهو يغادر مكانه: حسناً يا سيدي، ولكن أريد أن أطلب من السيدة كلود شيئاً أولاً.

- أنا لا أريد أن يضايق أختي أحد.

- كما تريد، ولكنني أريدها أن تُلقي نظرة على الجثة لتخبرني إن كانت تعرف صاحبها، وأنا حين أطلب ذلك لا أتجاوز حدود سلطتي، فهو أمر لا مفر منه إن عاجلاً أو آجلاً، فلِمَ لا تدعها تصحبني الآن؟ لقد كان السيد آردن يعرف روبرت أندرهاي وقد سمعَته إحدى الشاهدات يقول ذلك، ومن ثَم فلا يُستبعَد أنه كان يعرف السيدة أندرهاي كذلك، فإذا صح ذلك فإن شقيقتك قد تعرفه وترشدنا إلى اسمه الحقيقي إن لم يكُن أينوك آردن.

فهبّت روزالين كلود فجأة وقالت: سأصحبك بالتأكيد.

وتوقع سبنس أن يقول دافيد شيئاً، ولكنه ابتسم قائلاً: هذا عظيم منك يا روزالين، فقد تتمكنين من إرضاء حبي للاستطلاع وتعرفين اسم الرجل.

سألها سبنس: ألم تريه في وارمسلي فيل؟

فحركت رأسها قائلة: لقد كنتُ في لندن منذ السبت الماضي.

- وقد وصل آردن في مساء الجمعة.

قالت روزالين باستكانة الطفلة: أتريدني أن أصحبك الآن؟

فقال المفتش وقد أثّر فيه هدوؤها ورغبتها في المساعدة: إذا شئت يا سيدة كلود، فكلما أسرعنا في الحصول على المعلومات المؤكدة كلما كان ذلك أفضل. حسناً، سأهبط لأنتظركما.

وقد وجد البواب في انتظاره فقال: هل من شيء؟

- نعم، لقد علمتُ من الخادم المخصص للشقة أن فراش السيد هنتر قد استُعمل في الليلة الماضية وأن الإفطار قد أُرسل إليهما في التاسعة والنصف، هذا كل ما استطعت أن أعرفه.

فشكره المفتش سبنس. وبعد قليل كان ثلاثتهم يستقلون السيارة إلى المشرحة وقد خيم عليهم الصمت. وعندما وصلوا كانت روزالين كلود في شدة الاضطراب وقد شحب لونها، فنظر إليها دافيد باهتمام وقال كمَن يحدث طفلة: تشجعي يا عزيزتي فلن يستغرق الأمر غير دقيقة أو اثنتين، وليس هناك ما يدعو للخوف فسترين رجلاً وكأنه نائم، هيا اصحبي المفتش

وسأنتظرك هنا.

قالت وهي تتبع المفتش: لا تظنني جبانة، فعندما يرى الإنسان كل مَن حوله موتى كما حدث لي في تلك الليلة المريعة في لندن...

فقاطعها المفتش برفق: أنا أقدّر ذلك يا سيدة كلود، ولكن الأمر لن يستغرق سوى دقيقة أو اثنتين.

وبإشارة من سبنس كُشف الغطاء، وبقيت روزالين كلود تنظر إلى الرجل الذي كان يسمي نفسه أينوك آردن في حين انتحى سبنس جانباً ليرقب الانفعالات التي تبدو على وجهها. ولم تفزع روزالين وهي تنظر إلى الرجل بل بقيت تنظر إليه كمَن يتساءل دون أن يبدو منها ما يشير إلى أنها كانت تعرفه، وأخيراً وبهدوء تام قالت: ليرحمه الله، أنا لم أرَه من قبل في حياتي ولا أعلم من يكون.

فحدّث سبنس نفسه وهو ينظر إليها: إما أنكِ أبرع ممثلة صادفتها في حياتي أو أنك تقولين الحقيقة.

وبعد أن انصرفت السدة جوردون كلود وأخوها دافيد توجه المفتش سبنس إلى مقر عمله حيث اتصل هاتفياً برولي كلود وقال له: لقد اصطحبتُ الأرملة إلى المشرحة، وهي تؤكد أن الرجل ليس روبرت أندرهاي وأنها لم تره من قبل، وهذا يقضي على كل شك.

- حقاً؟

- وبطبيعة الحال عندما يُعرض الأمر على المحلفين فسوف

يصدقونها ما لم تقم أدلة تثبت غير ذلك.

- أجل، أنت على حق.

أعاد رولي السماعة وقد قطب جبينه، ثم تناول دليل هواتف لندن وأخذ يمر بإصبعه على الاسماء التي تبدأ بحرف الباء حتى وصل إلى مراده.

* * *

# الفصل الثالث

## -١-

طوى هيركيول بوارو الصحيفة التي أرسل خادمه جورج لابتياعها، فلم تأتِ الصحيفة بذكر تفصيلات الحادث وكل ما ذكرته أن الفحص الطبي أثبت أن تهشم جمجمة القتيل كان نتيجة ضربات عنيفة متلاحقة وأن التحقيق قد أُجّل لمدة أسبوعين، ثم ناشدت الصحيفة كل من يعرف شيئاً من قرائها عن شخص يُدعى أينوك آردن وصل أخيراً من مدينة الكاب أن يتقدم بمعلوماته إلى شرطة أوستشاير.

وضع بوارو الصحيفة فوق مثيلاتها بعناية وقد بدا عليه الاهتمام. وكان من الممكن أن يمر على الحادث دون اهتمام لولا زيارة السيدة كلود (زوجة ليونيل كلود) الأخيرة، وكانت تلك الزيارة قد ذكّرته بما سمعه ذات مساء في النادي في أثناء إحدى الغارات، فقد تذكّر بوضوح صوت الميجور بورتر وهو يقول: "وقد ظهر شخص باسم السيد أينوك آردن على بعد ألف ميل ليبدأ حياته هناك"... وفي تلك اللحظة كان بودّ بوارو لو يتسنّى له أن يعرف المزيد عن أينوك آردن الذي قُتل في وارمسلي فيل.

وتذكر أن صلته بالمفتش سبنس من قوة شرطة أوستشاير ضعيفة، وتذكر كذلك أن صديقه الشاب ميلون يقطن وارمسلي هيث وأنه يعرف جيريمي كلود. وبينما هو يستعد للاتصال بميلون هاتفياً إذا بخادمه جورج يدخل الحجرة ليعلن أن شخصاً يُدعى السيد كلود يريد مقابلته، فقال بوارو بارتياح: دعه يدخل.

دخل إلى الحجرة شاب حسن المنظر يبدو عليه القلق، فقال بوارو: حسناً يا سيد كلود، هل من خدمة أؤديها لك؟

كان رولي كلود يرمق بوارو بشاربيه الطويلين وشعره الأشيب في شك، وقد شعر بوارو بذلك فزاد سروره، وأخيراً قال رولي بتثاقل: أرى أنه يجب أن أعرّفك بنفسي أولاً.

فقاطعه بوارو قائلاً: أنا أعرفك تماماً، فقد حضرَت إليّ عمتك في الأسبوع الماضي.

فقال رولي وقد تدلى فكه دهشة: عمتي؟!

وأخذ يحملق إلى بوارو بدهشة، فقال بوارو: أظن أن السيدة ليونيل كلود عمتك؟

فقال رولي بغير تصديق: العمة كاثي؟ لا شك أنكَ تقصد السيدة جيريمي كلود؟

فحرك بوارو رأسه نفياً، فقال رولي: ولكن ماذا كانت تريد العمة كاثي؟

- لقد حضرت إليّ بإيعاز من الأرواح كما تقول.

- يا إلهي!

قالها رولي وقد بدا عليه الارتياح، فتنهد بوارو قائلاً: لقد حضرتَ إليّ لتطلب شيئاً، أليس كذلك؟

وعادت نظرة القلق تبدو على رولي وهو يقول: أخشى أن تكون قصة طويلة.

وحين ظل بوارو صامتاً بدأ يقول: أنا أعرف كل شيء عن جوردون كلود.

- حسناً، إذن فلا داعي للشرح. لقد تزوج قبل وفاته ببضعة أسابيع أرملة شخص يُدعى أندرهاي، وكانت تعيش منذ وفاته في وارمسلي فيل هي وأخ لها، وكنا نعتقد أن زوجها الأول مات بالحمى في إفريقيا ولكن يبدو الآن أن هناك احتمالاً آخَر، أعني أن زوجها الأول قد يكون على قيد الحياة.

- وما الذي قادك إلى هذا الاحتمال؟

حدثه رولي عن مقابلته لأينوك آردن وزيارته لفندق ستاغ والخطاب الذي تلقاه من بياتريس ليبينكوت، وأخيراً المناقشة التي سمعتها بياتريس. فقال بوارو: وهل ذكرت الفتاة ما سمعَته لرجل الشرطة؟

- لقد نصحتُها بأن تفعل ذلك.

- حسناً. أرجو المعذرة، ولكن ماذا دعاك لأن تحضر إليّ يا سيد كلود؟ هل تريد أن أقوم بالكشف عن هذه الجريمة؟

- لا، لا أريد شيئاً من هذا فهو من عمل رجال الشرطة، الذي أريده هو أن تعرف مَن هو هذا الشخص.

- ومن تظنه أنت يا سيد كلود؟

- حسناً، ليس اسمه الحقيقي أينوك آردن... أعني أنه اسم مستعار.

فقال بوارو بهدوء: أتعني أن أينوك آردن هو روبرت أندرهاي؟

قال رولي ببطء: حسناً، قد يكون كذلك.

- وهل كان مع الرجل شيء يثبت شخصيته؟ وماذا عن أوراقه؟

- لم تكُن معه أوراق.

- ماذا؟ ألم يكُن معه جواز سفر أو خطاب أو بطاقة؟

- نعم، لم يكُن معه شيء من هذا.

- هذا ممتع، ممتع حقاً.

- والأدهى من ذلك أن روزالين كلود أكدت عندما عرض عليها رجال الشرطة الجثة أنها لم ترَ الرجل في حياتها قط.

- حسناً، أليس في ذلك ما يكفي لإزالة شكوكك؟

فقال رولي بغلظة: أتعتقد ذلك؟ أنا أرى غير رأيك، فلو أن القتيل هو أندرهاي لكان معنى ذلك أن زواجها بعمي قد أصبح لاغياً ولفقدَت الثروة الطائلة التي ورثتها عنه، فهل تعتقد -بعد ذلك وإزاء هذه الظروف- أنها كانت تتعرف على الرجل وتقر بأنه زوجها؟

- ألا تثق فيها؟

- لا أثق فيها ولا في أخيها.

- ولكن لا شك أن هناك من يستطيع أن يقرر هل الرجل هو أندرهاي أم لا.

- تلك هي الصعوبة، وما أريده منك هو أن تجد شخصاً يعرف أندرهاي، مع العلم بأنه ليس له أقارب في هذه البلاد ولم يكُن يميل إلى الاختلاط. لا بد أن هناك خادماً أو صديقاً أو أي شخص، ولكنني لا أستطيع أن أقوم بهذه المهمة فأنا مزارع ولا أستطيع أن أترك أرضي.

- ولماذا حضرتَ إليّ بالذات؟

بدا الارتباك على رولي، فأسرع بوارو يقول وقد لمعت عيناه: أهو بوَحي الأرواح؟

فقال رولي بانزعاج: يا إلهي! لا. الذي حدث هو أنني سمعتُ صديقاً لي يتحدث عنك وعن مقدرتك العجيبة، ورغم أنني لا أعرف قيمة أتعابك فأنا أعتقد أنه من الممكن أن نتدبر الأمر، أنا وباقي أفراد العائلة... هذا إذا كنتَ ستقبل المهمة.

فقال بوارو ببطء: حسناً، أظنني أستطيع مساعدتك.

وعادت به ذاكرته إلى الوراء سريعاً، إلى تلك الليلة في النادي وإلى ذلك الثرثار المتطرف، ماذا كان اسمه؟ بورتر. أجل، الميجور بورتر.

وهبّ بوارو واقفاً وهو يقول: هل تستطيع أن تمر بي بعد

ظهر اليوم يا سيد رولي؟

- أعتقد ذلك، ولكن لا يمكن أن تتمكن من عمل شيء في مثل هذه المدة القصيرة.

قال بوارو بهدوء: لديّ طرقي الخاصة يا سيدي.

وما إن انصرف رولي حتى جلس بوارو إلى مكتبه فخط رسالة قصيرة سلمها إلى خادمه جورج وأمره بحملها إلى نادي كورونيشن وأن ينتظر الرد. وكان الرد على أحسن ما يرام، فقد أرسل الميجور بورتر تحياته إلى السيد هيركيول بوارو وذكر أنه يسره أن يراه هو وصديقه في مسكنه رقم ٩٧ بشارع أدجواي في كامبدن هيل، في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم.

وحضر رولي كلود في الساعة الرابعة والنصف، وما إن رأى بوارو حتى سأله: هل أصبتَ شيئاً من النجاح يا سيد بوارو؟

- نعم يا سيد كلود، وسنذهب الآن لزيارة صديق قديم للضابط روبرت أندرهاي.

- ماذا؟!

أخذ رولي ينظر إلى بوارو في ذهول وقد فغر فاه ثم صاح: هذا محير للعقول! لا أعرف كيف تفعلون تلك الأشياء.

ولم يحاول بوارو أن يبسط له الأمر، فقد كان مما يسرّه أن يرى الدهشة مستحوذة على أمثال رولي من البسطاء. وبعد لحظات كان الاثنان يستقلان سيارة أجرة إلى كامبدن هيل. وكان الميجور بورتر يقطن الطابق الأول من مبنى قديم، وقابلتهما

امرأة مرحة مكتنزة الجسم قادتهما إلى حجرة مربعة تحوي في جوانبها بضعة رفوف للكتب وتغطي أرضَها سجادتان ثمينتان تقادم العهد عليهما.

ولاحظ بوارو أن وسط الحجرة كان أكثر لمعاناً في حين كانت الأرض متآكلة في أركان الحجرة، فأدرك للتو أن هذا الجزء كانت تغطيه سجاجيد أخرى ثمينة إلى وقت قريب، ثم نقل بصره إلى الرجل المنتصب بجوار المدفأة في سترة جيدة الصنع أكل عليها الدهر وشرب، فعلم بوارو بأن الحياة أصبحت صعبة بالنسبة لشخص مثل الميجور بورتر من ضباط الجيش المتقاعدين، فقد ارتفعت الضرائب ارتفاعاً باهظاً كما زادت أسعار الحاجات حتى إن أكبر ضابط متقاعد كان ينوء بحمل أعبائها. ولكن بوارو كان واثقاً من أن الميجور بورتر لن يتخلى عن شيء واحد وهو دفع اشتراك النادي.

قال الميجور بورتر وهو ينظر إلى بوارو: أخشى أن لا أذكر أنني قابلتك من قبل يا سيد بوارو. أتقول في النادي منذ بضع سنوات؟ أنا أعرف اسمك بطبيعة الحال.

فقال بوارو: هذا هو السيد رولي كلود.

حنى الميجور رأسه احتراماً وقال: لي الشرف. أخشى أن لا أستطيع أن أدعوكما لتناول القهوة، فقد فَقدَ تاجر البن الذي أتعامل معه ما لديه من بنّ من جراء الغارات، فهل لكما في كوب من الشاي؟

فوافق الاثنان، ثم قدم لهما الميجور السجائر فتناول بوارو سيجارة أشعلها الميجور، ثم قال مخاطباً رولي: أنت لا تدخّن.

حسناً، هل تمانعان إن أشعلت غليوني؟

ثم أشعل غليونه وأخذ يجذب بضعة أنفاس منه وقال: والآن أخبرني، ماذا أستطيع أن أقدمه لكما؟

فقال بوارو: أظنك قرأت في الصحف خبر موت رجل في وارمسلي فيل، أليس كذلك؟

فحرك بورتر رأسه نفياً فتابع بوارو: اسمه آردن، أينوك آردن، وقد وُجد في فندق ستاغ وقد تهشم مؤخر رأسه.

قطب بورتر جبينه قائلاً: لحظة واحدة، أعتقد أنني قرأت عن شيء كهذا منذ بضعة أيام.

- لديّ صورة هنا ولكنها ليست واضحة المعالم تماماً، وكل ما نرجوه يا ميجور بورتر هو أن أعرف منك هل رأيتَ هذا الرجل من قبل.

تناول الميجور الصورة، وكانت أحسن صورة التُقطت للقتيل، ونظر إليها برهة ثم تناول نظاراته فثبتها على أنفه وأخذ يتفحص الصورة ثم قال بانفعال: ليرحمني الله!

- هل تعرفه يا ميجور؟

- بكل تأكيد، إنه أندرهاي، روبرت أندرهاي.

فسأله رولي بصوت فيه رنة الانتصار: هل أنت واثق من ذلك؟

- أنا واثق بغير شك. إنه روبرت أندرهاي وأنا على استعداد لأن أقسم على ذلك.

## -٢-

اتصل رولي هاتفياً بلين وطلب منها أن تحضر إليه بالقرب من رولاند كوبس ليطلعها على أخبار تهمها. وأخذت لين طريقها عبر الحقول صوب المكان وهي تتساءل ماذا يكون الخبر، ورآها رولي وهي تقترب فترك محراثه وأسرع لملاقاتها، ولاحظت الفتاة تغيره فقالت: ماذا حدث يا رولي؟ تبدو متغيراً.

فضحك قائلاً: أعتقد أنني كذلك، فقد بدأ حظنا يتبدل يا لين.

- ماذا تعني؟

وأخذ يسرد لها كيف أن روزالين عندما عرضت عليها جثة القتيل أنكرت أنها رأته من قبل، وكيف أن الأمر كاد ينتهي عند هذا الحد لولا همّته. ثم ذكر لها اتصاله بالشرطي السري الخاص هيركيول بوارو وكيف أن ذلك الرجل العجيب تمكن في بضع ساعات من أن يعثر على صديق قديم لروبرت أندرهاي يُدعى بورتر، وكيف أن بورتر تعرف على صورة القتيل أينوك آردن وأكد أنه روبرت.

فتراجعت لين خطوة وهي تقول بدهشة: ماذا؟!

- نعم، إنه روبرت أندرهاي، ولكن يجب أن يظل الأمر سراً بيننا.

ثم أضاف وقد أخذ منه الانفعال كل مأخذ: وهكذا ترين أننا انتصرنا أخيراً يا لين. أجل، لقد انتصرنا على هذين المحتالَين.

- أيّ محتالَين؟

- هنتر وأخته. وسوف تعود ثروة جوردون إلينا وتوزَّع حسب الوصية التي كتبها قبل زواجه بها، ذلك الزواج الذي سيصبح لاغياً عندما يثبت أن زوجها الأول أندرهاي كان على قيد الحياة عندما تزوجت.

فقالت لين ببطء: ولكن ماذا سيفعلان؟

- ماذا؟

وبدا على رولي أنه لم يفكر في هذا الأمر، ثم أضاف: لا أدري... ليرجعا من حيث أتيا. حسناً، أظن أنه يجب أن نفعل شيئاً حيالها، أعني أنها تزوجت جوردون وهي واثقة من موت زوجها الأول فليست غلطتها. أجل، يجب أن نتعاون ونعطيها مبلغاً محترماً تعيش منه.

- أنت تميل إليها، أليس كذلك؟

- إلى حد ما، فهي فتاة لطيفة كما أنها تعرف كل ما يتعلق بالماشية.

- أما أنا فلا.

- حسناً، سوف تتعلمين.

- ماذا عن دافيد؟

وقطب جبين رولي وصاح قائلاً: ليذهب إلى الجحيم، هذه لم تكُن أمواله فهو كان يعيش متطفلاً على أخته.

- لا يا رولي، الأمر ليس كذلك. إنه ليس متطفلاً، قد يكون مغامراً ولكن...

- ومجرم كذلك.

فقالت وقد احتبست أنفاسها: ماذا تعني؟

- مَن تظنين قتلَ أندرهاي؟

فصاحت لين قائلة: أنا لا أصدق ذلك!

- لا بد أنه هو الذي قتل أندرهاي من غير شك، فقد رأيتُه هنا في ذلك اليوم وقد حضر في قطار الخامسة والنصف.

فقالت لين بحدة: ولكنه عاد إلى لندن في تلك الليلة.

- بعد أن قتل أندرهاي.

- في أيّ وقت قُتل أندرهاي؟

- حسناً، لا أدري تماماً ولكنني أظن أن ذلك حدث بين التاسعة والعاشرة.

- لقد سافر دافيد بقطار التاسعة والثلث العائد إلى لندن.

- وكيف عرفتِ أنه تمكن من اللحاق بالقطار؟

- لأنه اتصل بي هاتفياً بعد ذلك من لندن.

فصاح رولي بحنق: وماذا دعاه لأن يتصل بك هاتفياً؟ أصغي إليّ يا لين. أنا لن أقبل ذلك.

- وماذا في ذلك يا رولي؟ كل ما في الأمر أن تلك المحادثة تثبت أنه تمكن من اللحاق بالقطار.

- لقد كان لديه الوقت الكافي ليقتل أندرهاي ثم يسرع ليلحق بالقطار.

- هذا ما لم يكُن قد قُتل قبل التاسعة.

- حسناً، ربما كان قد قُتل قبل التاسعة.

وأغمضت لين عينيها. أهذه هي الحقيقة؟ أكان قد ارتكب جريمته عندما التقى بها في تلك الليلة؟ أيمكن أن يقوم دافيد بقتل رجل لم يُسئ إليه، رجل كل ما يمكن أن يقال عنه أنه كان يقف حائلاً بين روزالين وإرث ضخم، أو على الأصح كان يحول بين دافيد والتمتع بأموال روزالين؟ وأخيراً همهمت قائلة: ولكن لماذا يقتل أندرهاي؟

- يا إلهي! ألا ترين يا لين أن وجود أندرهاي على قيد الحياة معناه أن أموال جوردون تؤول إلينا؟ وعلى كل حال فقد كان أندرهاي يهدده بإفشاء السر.

آه، إذن فهذا هو السبب، فدافيد لم يكُن ليتورع عن قتل شخص يريد أن يبتز أموال أخته. إذن فقد كان هذا هو سبب انفعاله في تلك الليلة، وهذا هو ما جعله يقول لها فيما بعد عندما اتصل بها من لندن: يجب أن أغادر البلاد!

وسمعت صوت رولي يسألها وكأنه آت من بعيد: ماذا حدث يا لين؟ هل أنتِ على ما يرام؟

- نعم، بالتأكيد.

- إذن فعلامَ هذا الاكتئاب؟

ثم استدار لينظر إلى منزله الصغير وهو يقول: شكراً لله، سوف نتمكن من تجديد المنزل وإعداده لنعيش فيه معاً يا لين.

أجل، سوف يكون هذا منزلها الذي ستعيش فيه مع رولي. وفي الثامنة من صباح أحد الأيام سوف يتدلى رأس دافيد من حبل المشنقة.

-٣-

قال دافيد وهو يضع يديه على كتفي روزالين وينظر إليها وقد بدا العزم في قسمات وجهه الشاحب: سوف يكون كل شيء على ما يرام، تأكدي من ذلك. ولكن يجب أن تحتفظي بثبات أعصابك وتفعلي ما أطلب منك.

- وماذا لو أخذوك مني؟ لقد أخبرتني أن هذا قد يحدث.

- هذا محتمل، ولكن الأمر لن يطول، هذا إذا لم تفقدي رباطة جأشك.

- سوف أفعل ما تطلب يا دافيد.

- هذه هي فتاتي. كل ما أطلبه منك يا روزالين ألا تغيري أقوالك وأن تصري على أن القتيل ليس زوجك روبرت أندرهاي.

- ولكنهم قد يتمكنون من الإيقاع بي دون وعي مني.

- لا، لن يفعلوا ذلك، فكوني مطمئنة.

- لقد كنا مخطئين منذ البداية. لقد أخذنا أموالاً لا حق لنا فيها، أنا لا أستطيع النوم من كثرة التفكير يا دافيد، وهذا هو

عقاب الله لنا على ما اقترفنا.

فنظر دافيد إليها وقد قطب جبينه. أجل، لقد بدأت أعصابها تنهار، وقد كانت النزعة الدينية هي سبب شقائها فلم يهدأ ضميرها لحظة واحدة. ورأى دافيد أنه ليس أمامه غير شيء واحد ليحول دون انهيارها، فقال برقة: أصغي إليّ يا روزالين. هل تريدين أن أُعلَّق في حبل المشنقة؟

فاتسعت حدقتاها فزعاً وصاحت: لا يا دافيد، لن يحدث هذا، لا يمكن!

- هناك شخص واحد يستطيع أن يضع حبل المشنقة حول عنقي، وهو أنتِ. فلو أنك اعترفت (بالقول أو بالإشارة) أن القتيل قد يكون أندرهاي فأنت تضعين حبل المشنقة حول عنقي. هل تفهمين ذلك؟

وأصاب قوله الهدف، فقد أخذت تحملق إليه وقد استولى عليها الفزع قائلة: أنا غبية يا دافيد.

- لا، لستِ كذلك. وعلى كل حال فلا داعي لأن تكوني ذكية، وما عليك إلا أن تُقسمي أن القتيل ليس زوجك. ألا يمكن أن تفعلي ذلك؟

فحركت رأسها موافقة، فتابع: ليس من جُرم أن تظهري غبية، ولكن يجب أن تثبتي على الأقوال التي لقّنتك إياها، وسوف يقوم جيثورن بحمايتك فهو محام قدير، هذا إذا ثبتّ على أقوالك معه. وبالله عليك لا تحاولي أن تكوني ذكية أو أن تظني أنه إمكانك مساعدتي بتغيير أقوالك.

- سأفعل ما تطلب يا دافيد.

- أنت فتاة عظيمة، وعندما ينتهي كل شيء فسوف نرحل إلى جنوب فرنسا أو إلى أمريكا، وكل ما عليك في هذه الفترة أن تحافظي على صحتك ولا داعي لأن تؤرقي نفسك، وعليك بتعاطي الأقراص المنومة التي كتبها لك الدكتور كلود. تناولي واحداً كل ليلة وابتسمي للحياة، وتذكري أن هناك أوقاتاً سعيدة تنتظرنا.

ثم نظر إلى ساعة يده قائلاً: أرى أن الوقت قد حان لنذهب للتحقيق، فسيجري التحقيق في الحادية عشرة.

وأخذ ينظر حوله إلى حجرة الاستقبال الفخمة حيث الجمال والراحة والثراء. لقد استمتع بكل هذا وبالمنزل الأنيق فاروبانك، وها هو سيغادر الآن. قد يكون لفترة قصيرة وقد يكون إلى الأبد. لقد ورط نفسه، هذا مما لا شك فيه، ولكنه مع ذلك لم يندم.

وفي تلك اللحظة شعر بنظرات روزالين مركزة عليه، فشعر بما يدور في خلدها فقال برفق: أنا لم أقتله يا روزالين، أقسم لكِ على ذلك.

## -٤-

وصلت روزالين ومعها دافيد إلى قاعة الجلسة حيث جلس السيد بيمارش القاضي وإلى جواره المفتش سبنس، وعن بُعد جلس رجل ضئيل يبدو عليه أنه أجنبي ذو شاربين كبيرين، ثم

عائلة كلود: جيريمي كلود وزوجته، وليونيل كلود وزوجته، ثم رولي كلود، ثم السيدة مارشمونت ولين، أما الميجور بورتر فقد جلس وحده وهو بادي القلق.

تنحنح القاضي وأخذ ينظر إلى وجوه المحلفين التسعة، ثم بدأ الجلسة فطلب الشرطي بيكوك وبعده الشرطي فان، ثم الدكتور ليونيل كلود الذي قرر أنه كان حاضراً عندما اكتُشفت الجثة وشرح ما رآه عندما توجه إلى الحجرة رقم ٥، فقد رأى جثة الرجل وهو ملقى على وجهه وقد تهشمت جمجمته ثم الآلة التي ارتُكبت بها الجريمة، وعندما سُئل عن رأيه في موعد حدوث الجريمة صرّح بأنه لم يفحص الجثة جيداً تاركاً تلك المهمة للطبيب الشرعي وأنه يعتقد أن الجريمة حدثت بين السابعة والنصف والعاشرة والنصف من الليلة السابقة.

فشكره القاضي ثم استدعى الطبيبَ الشرعي الذي أخذ يشرح بإسهاب أماكن الضربات وأنه تبين وجود انتفاخ في الفك الأسفل، وأن بعض الضربات حدثت بعد الوفاة، وقرر أن القتل كان بطريقة وحشية. وتلا ذلك تقريرٌ عن صحة القتيل وأنه كان في صحة تامة ولم يكُن فيه أثر للمرض وأن القلب والرئتين وجميع أعضاء الجسم كانت سليمة.

ثم استُدعيت بياتريس ليبينكوت بعد ذلك فذكرت أن القتيل وصل في مساء الجمعة وسجل اسمه في الدفتر على أنه أينوك آردن من جنوب إفريقيا. وعندما سألها القاضي عما إذا كان قد قدّم لها بطاقة ائتمانية نفت ذلك، وقالت إنها تحدثت إلى القتيل وطلبت منه أن يقدّم بطاقة من هذا النوع إن كان ينوي البقاء أكثر من خمسة أيام وإنه وعدها بالبحث عنها. ثم عاد القاضي وسألها

هل سمعَت مناقشة ما مساء يوم السبت؟ فروت ما سمعَته وأكدت أنها لم تذهب إلى الحجرة رقم ٤ إلا للضرورة القصوى لا بقصد استراق السمع، فسألها القاضي هل روت ما سمعته لأحد؟ فأجابت بأنها روَت ما سمعته للسيد رولي كلود.

- ولماذا أخبرت السيد كلود؟

فقالت وقد احمرّ وجهها: لقد تراءى لي أنه يجب أن يعرف.

فهبّ السيد جيثورن، وهو رجل طويل نحيل، وطلب السماح له بتوجيه سؤال إليها: وفي أثناء الحديث الذي دار بين القتيل والسيد دافيد هل ذكر القتيل بطريقة مؤكدة أنه هو روبرت أندرهاي؟

- لا، لم يفعل ذلك.

- طبعاً كان يتحدث عن روبرت أندرهاي على أنه شخص آخَر تماماً، أليس كذلك؟

- بلى، كان يتحدث عن روبرت أندرهاي على أنه شخص آخر.

وانتهى سؤال بياتريس. وطُلب رولي كلود للمثول أمام القاضي، وبسؤاله قال إن بياتريس أعادت على مسامعه المناقشة التي سمعَتها، ثم روى مقابلته للقتيل فقال القاضي: وكانت كلماته الأخيرة "لا أظن أنك ستستطيع إثبات ذلك دون معاونتي"، وكان يقصد بذلك أنك لن تستطيع إثبات وجود روبرت أندرهاي على قيد الحياة؟

- نعم، هذا ما قاله.

- وماذا فهمتَ من كلماته هذه؟

- فهمت أنه كان يريد أن أساومه.

- وكان من جرّاء تلك المقابلة أن أخذت تبحث عن أيّ شخص يعرف روبرت أندرهاي؟ وقد نجحت في ذلك بمساعدة أحد الأشخاص.

- أجل، هذا صحيح.

- وفي أيّ وقت تركتَ القتيل؟

- في التاسعة إلا خمس دقائق تقريباً.

- وكيف تمكنتَ من معرفة ذلك؟

- لأنني عندما تركتُ الفندق وسرت في طريقي سمعت ساعة تعلن التاسعة.

- وهل ذكر القتيل في أي وقت كان يتوقع وصول عميله؟

- لقد كان يتوقعه في أية لحظة كما قال.

- ألم يذكر اسم عميله؟

- لم يذكره.

ثم نودي دافيد هنتر فاشرأبت الأعناق تنظر إلى الشاب الطويل القامة الذي وقف ينظر إلى القاضي في تحدّ. ومر القاضي سريعاً على المقدمات ثم قال: لقد ذهبتَ لمقابلة القتيل مساء

السبت، أليس كذلك؟

- بلى، فقد تلقيتُ منه رسالة يطلب فيها المساعدة ويذكر فيها أنه كان صديقاً لزوج أختي الأول.

- وهل معكَ هذا الخطاب؟

- لا، لا أحتفظ به.

- لقد سمعتَ التقرير الذي أدلت به بياتريس ليبينكوت عن المحادثة التي دارت بينك وبين القتيل، فهل هو تقرير صحيح؟

- ليس صحيحاً على الإطلاق، فقد تحدث القتيل عن معرفته السابقة بزوج أختي وشكا من سوء حظه وطلب منّي أن أساعده مالياً، وأكد أنه سيتمكن من سداد ما يطلبه.

- وهل ذكر لك أن روبرت أندرهاي ما زال على قيد الحياة؟

فابتسم دافيد قائلاً: لا، فما قاله هو: "لو أن روبرت أندرهاي ما يزال على قيد الحياة لما تأخر عن مساعدتي"... أي مساعدته هو.

- هذا يخالف تماماً ما ذكرَته بياتريس ليبينكوت؟

- عادة لا يستمع مُسترقو السمع إلا القليل مما يدور من الحديث، ولكنهم يأبون إلا أن يكملوا ما فاتهم من مخيلتهم.

- حسناً يا سيد هنتر، وهل عُدتَ لزيارة القتيل في مساء الثلاثاء؟

- لا، لم يحدث ذلك.

- وهل سمعتَ السيد رولي كلود يذكر أن القتيل كان يتوقع زائراً؟

- ربما كان ينتظر زائراً حقاً، وإن صدق هذا فلم أكن أنا ذلك الزائر، فقد أعطيته ورقة من فئة الخمسة جنيهات وأعتقد أنها كانت كافية بالنسبة له، وخاصة أنه لم يكُن هناك ما يثبت أنه كان يعرف روبرت أندرهاي. فكما ترى صارت أختي هدفاً لكل سائل أو متطفل منذ ورثت دخلاً كبيراً عن زوجها.

قال ذلك وهو يمر بنظره على الحاضرين من آل كلود.

- وهل يمكن أن تخبرنا أين كنتَ مساء الثلاثاء يا سيد هنتر؟

- تحرَّ ذلك بنفسك.

فقال القاضي وهو يضرب المنضدة بيده: هذا جواب أحمق وغير لائق يا سيد هنتر.

- لماذا أخبركم أين كنتُ وماذا فعلت؟ سوف يأتي ذكر ذلك عندما تتهمونني بقتل الرجل.

- إذا كنت تصر على موقفك فقد يحدث ذلك، وبأسرع مما تتصور. هل تعرف هذه يا سيد هنتر؟

ومال دافيد إلى الأمام وأمسك بالولاّعة الذهبية في يده وقد بدت الدهشة على وجهه ثم أعادها وهو يقول ببطء: إنها تخصني، ولكنني فقدتها.

وتوقف ليفكر وأخيراً قال: لقد كانت معي صباح يوم الجمعة الماضي.

فهبّ السيد جيثورن واقفاً وقال: ليسمح لي سيدي القاضي بسؤال. لقد قمتَ بزيارة القتيل مساء السبت، فهل من المحتمل أنك تركتها هناك؟

- قد يكون ذلك ما حدث، ولكنني لا أذكر أنني رأيتها بعد يوم الجمعة. ولكن أين عثرتم عليها؟

فقال القاضي: سيأتي ذكر ذلك فيما بعد. ولتعد إلى مكانك الآن يا سيد هنتر.

وتحرك دافيد ببطء عائداً إلى مقعده، ثم انحنى على روزالين وهمس قائلاً: الميجور بورتر.

وأخذ الميجور بورتر مكانه أمام المنصة وبدأ الاستجواب: هل أنت جورج بورتر الميجور السابق بفرقة حملة البنادق الملكية بإفريقيا؟

- نعم.

- وهل كنتَ تعرف روبرت أندرهاي جيداً؟

فأخذ الميجور بورتر يذكر بعض أسماء الأماكن التي قابله فيها مع ذكر التواريخ.

- وهل رأيتَ جثة القتيل؟

- نعم.

- وهل يمكنك التعرف على الجثة؟

- نعم، إنها جثة روبرت أندرهاي.

وسرت همهمة بين الحاضرين ثم عاد السكون.

- هل أنتَ واثق مما تقول؟

- نعم، تمام الثقة.

- ألا يمكن أن تكون مخطئاً؟

- أنا لست مخطئاً.

- شكراً لك يا ميجور بورتر. والآن لنسمع شهادة السيدة روزالين كلود.

قامت روزالين من مكانها ومرت بالميجور بورتر الذي أخذ ينظر إليها بدهشة دون أن تنظر إليه، وسألها القاضي: سيدة كلود، لقد ذهبت مع رجال الشرطة لمشاهدة جثة القتيل، أليس كذلك؟

وسرت الرعدة في جسمها وهي تقول: بلى، لقد ذهبتُ.

- وقد قررت أن الجثة لرجل لا تعرفينه تماماً، أليس كذلك؟

- بلى، لقد قررت ذلك.

- لقد سمعتِ تقرير الميجور بورتر، فهل تريدين أن تغيّري أو تعدلي في أقوالك؟

- لا.

- أما زلت تصرّين على أن الجثة ليست جثة زوجك روبرت

أندرهاي؟

- ليست جثة زوجي، بل هي جثة رجل لم أرَه في حياتي من قبل.

- ولكن الميجور بورتر قرر أنها جثة صديقه روبرت أندرهاي؟

فقالت روزالين بهدوء: الميجور بورتر مخطئ.

- أنت لستِ مقيدة الآن بيمين يا سيدة كلود، ولكنك سوف تصبحين كذلك إذا انتقلَت القضية إلى محكمة أخرى. فهل أنت مستعدة لأن تحلفي اليمين على أن الجثة ليست جثة روبرت أندرهاي بل جثة شخص غريب؟

- أنا مستعدة لأن أحلف اليمين على أنها ليست جثة زوجي بل جثة رجل مجهول عني تماماً.

قالت ذلك بصوت واضح وهي تواجه القاضي بنظراتها، ثم طلب منها القاضي أن تعود إلى مكانها واستدار يخاطب المحلفين. وكان على المحلفين أولاً أن يكتشفوا كيف لقي الرجل حتفه. ولم يكُن هذا بالأمر الصعب، فلا يمكن أن يكون انتحر أو لقي حتفه عرَضاً، فقد كان واضحاً أنه قُتل. والنقطة الثانية هي معرفة ما إذا كان القتل عمداً أم لا.

وترك القاضي المحلفين يخلون إلى أنفسهم، ومضت ثلاثة أرباع الساعة وخرجوا بعدها من حجرة المداولة ليعلنوا إدانة دافيد هنتر بتهمة القتل العمد.

قال القاضي معتذراً: كنتُ أخشى أن يفعلوا ذلك.

- إنهم لم يتبعوا المنطق في حكمهم بل تركوا الأمر لأهوائهم.

فانطلق القاضي والمفتش سبنس وهيركيول بوارو إلى حجرة أخرى بعد أن انفضت الجلسة وأخذوا يتحدثون عن الجريمة، فروى لهم بوارو ما سمعه من الميجور بورتر في أثناء تلك الغارة الجوية على لندن منذ بضع سنوات، ثم انتقل من ذلك إلى الحديث عن القضية فسأله المفتش سبنس: يبدو لي أنك مهتم بهذه القضية؟

- أجل، وسبب اهتمامي هو أن كل ما فيها خطأ.

- لماذا؟ ألا تعتقد بأن هنتر مذنب يا سيد بوارو؟

- ما رأيك أنت؟

- حسناً، كل القرائن تشير إلى أن المجرم لا يمكن أن يتعدى أحد اثنين: هو أو أخته. وقد كانت أخته في لندن عند وقوع الجريمة أما هو فقد كان في وارمسلي فيل منذ الخامسة والنصف، ونحن نعرف متى عاد إلى لندن. وليس هذا فقط، بل إن وجود أندرهاي على قيد الحياة كان معناه أن تفقد السيدة جوردون كلود إرثاً يربو على المليونين من الجنيهات، أما آل كلود فكان يهمهم أن يبقى على قيد الحياة لأن ذلك كان ينشأ عنه أن تؤول ثروة أخيهم جوردون الضخمة إليهم، زد على ذلك الحديث الذي سمعَته بياتريس ليبينكوت، وأنا أميل إلى تصديق

قصتها عن قصة دافيد هنتر.

- أجل، وأعتقد أنها فتاة صريحة.

- وقد قمنا بتحريات فعلمنا أن روزالين كلود توجهت إلى شارع بوند حال وصولها إلى لندن لتبيع بعض حليها الثمينة، وهي كما تعلم لم يكُن من حقها أن تمس رأس المال بل الأرباح فقط.

- وهل تتخذ هذه قرينة ضد دافيد هنتر؟

- ألا ترى ذلك؟ لماذا باعت جواهرها؟ أليس لتجميد مبلغ من المال مطلوب بصفة ملحّة؟

فحرك بوارو رأسه قائلاً: هذه قرينة على وجود حالة تهديد لابتزاز الأموال وليست قرينة على الرغبة في القتل؛ فلا يمكن أن يجتمع الأمران، فإما أن هنتر كان ينوي الدفع أو أنه كان يدبر خطة للقتل، وها أنت ذا قد قدمتَ الدليل على أن نية الدفع كانت متوفرة لديه.

- أجل، أجل، ربما كان الأمر كذلك ثم غيّر رأيه فيما بعد.

- هناك أمر آخَر يجب أن تثبته قبل أن تقطع بأن هنتر مذنب، وهو أن القتيل هو روبرت أندرهاي نفسه.

- ولماذا قُتل لو أنه لم يكُن روبرت أندرهاي؟

فهمهم بوارو قائلاً: هذا أمر يستحق التساؤل حقاً.

## -٦-

غادر بوارو مقر الشرطة وهو مقطب الجبين وأخذ يسير بتؤدة حتى وصل إلى ميدان تقوم فيه سوق القرية، فوقف ينظر حوله فرأى منزل الدكتور كلود بعده بقليل مكتب بريد وفي الناحية الأخرى منزل جيريمي كلود، ثم أدار بوارو رأسه ينظر أمامه فرأى كنيسة الروم الكاثوليك ببنائها الصغير في مقابل كنيسة سانت ماري الفخمة التي كانت تتوسط الميدان. وبدافع خفي وجد نفسه يتقدم صوب كنيسة الروم الكاثوليك حتى وجد نفسه أمام بابها، فخلع قبعته وتقدم فيها ثم جلس على أحد المقاعد. وعندئذ سمع صوت بكاء مكتوم فأدار رأسه ليقع بصره على سيدة في ثوب أسود جاثية على ركبتيها وقد اعتمدت رأسها بين يديها، ثم قامت السيدة وهي لا تزال تبكي وأخذت طريقها صوب الباب، وفي الحال اتسعت عينا بوارو دهشة؛ لقد كانت روزالين كلود. فغادر مكانه ولحقها في رواق الكنيسة حيث وقفت تحاول التحكم في أعصابها، فقال لها برفق: هل أستطيع مساعدتك يا سيدتي؟

لم تبدُ عليها الدهشة، بل أجابت ببساطة طفلة حزينة: لا، فليس هناك من يستطيع مساعدتي.

- أنت في مأزق حرج، أليس كذلك؟

- لقد أخذوا دافيد وها أنا ذا وحيدة. إنهم يقولون إنه قتل، ولكنه لم يفعل، لم يفعل.

ثم نظرت إلى بوارو قائلة: لقد كنتَ هناك اليوم في المحكمة. لقد رأيتك.

- أجل، وكم أكون سعيداً لو استطعتُ أن أساعدك يا سيدتي.

- أنا خائفة. لقد كان دافيد يقول إنني في مأمن من الخطر ما دام بجواري، والآن وقد أخذوه مني فأنا خائفة. لقد قال إن الكل يتمنون موتي، وربما كان على حق.

- دعيني أساعدك يا سيدتي.

فحركت رأسها قائلة: لا، فليس هناك من يستطيع مساعدتي، كما أنني لا أستطيع أن أعترف وعليّ أن أتحمل وزر إثمي وحدي، فقد كُتب عليّ أن أحرم من رحمة الله.

- لا، إن الله لا يحرم أحداً من رحمته وأنت تعلمين ذلك.

وعادت تنظر إليه وقد علت الكآبة وجهها قائلة: يجب أن أعترف بخطاياي، آه لو أستطيع أن أعترف.

- ألا تستطيعين أن تعترفي؟ لقد أتيت إلى الكنيسة لذلك، أليس كذلك؟

- لقد أتيتُ لأنال الراحة، ولكن أية راحة لمثلي؟ أنا مذنبة.

- ليس فينا من لم يرتكب خطيئة.

- أنتم تستطيعون أن تكفّروا، أما أنا فيجب أن أعترف.

ثم رفعت يدها إلى وجهها وأضافت: أعترف بالأكاذيب التي ذكرتُها.

- لقد كذبت فيما يتعلق بزوجك، أعني عن روبرت أندرهاي، فالذي قُتل هنا هو روبرت أندرهاي، أليس كذلك؟

فاستدارت نحوه في حدة وقد بدا الشك في نظراتها وصاحت: أنا أقول لك إنه لم يكُن زوجي، وهو لا يشبهه في كثير أو قليل.

- أخبريني، ما أوصاف زوجك؟

أخذت تحملق إليه برهة ثم أخذ الفزع يبدو في نظراتها وصاحت: لن أتحدث إليك أكثر من هذا.

ثم اندفعت خارجة إلى الميدان. ولم يحاول بوارو أن يتبعها بل هز رأسه في شيء من الارتياح ثم أخذ يسير ببطء عابراً الميدان. وبعد قليل من التردد سار في شارع هاي حتى وصل إلى فندق ستاغ، وعند باب الفندق التقى برولي كلود ولين مارشمونت، فحياه رولي ثم قال: لا أدري كيف نشكرك أنا ولين يا سيد بوارو، فأنت لا تدرك كيف أن هذا الأمر سيغير من حياتنا الزوجية.

وانقبضت أسارير لين في حين قال بوارو برفق: ومتى تعقدان قرانكما؟

- في يونيو.

- ومنذ متى كنتما مخطوبَين؟

- منذ ست سنوات، فقد تطوعَت لين في خدمة الجيش.

- وهل من الممنوع أن تتزوج فتاة وهي في الخدمة؟

قالت لين: لقد كنتُ مسافرة عبر البحار.

فأسرع رولي يقول وقد تقطب جبينه: هيا بنا يا لين، فأنا أعتقد أن السيد بوارو يريد أن يعود إلى المدينة.

فقال بوارو مبتسماً: ولكنني لن أعود إلى المدينة.

- ماذا؟

وتسمر رولي في مكانه في حين قال بوارو: سوف أقضي بعض الوقت هنا في فندق ستاغ.

- ولكن... ولكن لماذا؟

- هذا المكان يروقني.

- ولكن لماذا هذا المكان؟ فهناك فندق أفضل بكثير في وارمسلي هيث.

- ولكنني أفضّل البقاء في وارمسلي فيل.

قالت لين: هيا بنا يا رولي.

فتبعها رولي، وعندما وصلا إلى الباب توقفَت ثم عادت مسرعة وقالت لبوارو بصوت خافت: لقد ألقوا القبض على دافيد هنتر بعد انتهاء التحقيق، فهل تعتقد أنهم كانوا محقّين في ذلك؟

- لم يكُن أمامهم غير ذلك يا آنستي بعدما قرره المحلفون.

- أعني هل تعتقد أنه ارتكب هذا الأمر؟

- وهل تعتقدين ذلك أنت؟

وفي تلك اللحظة عاد رولي فتصلبت عضلات وجهها وقالت: إلى اللقاء يا سيد بوارو، وأرجو أن نلتقي ثانية.

* * *

بعد أن اتفق بوارو مع بياتريس ليبينكوت على حجز غرفة له أخذ طريقه إلى منزل الدكتور ليونيل كلود. وفتحت له العمة كاثي الباب، وما كادت تراه حتى تراجعت بضع خطوات ولكنها تمالكت نفسها وطلبت منه الدخول. ولم يكد بوارو يستقر على مقعده حتى قالت بصوت هامس: أرجو ألا تخبر زوجي بأمر زيارتي لك.

- اطمئني من هذه الناحية يا سيدتي.

- وهل أنت في طريقك إلى لندن؟

- لا، سوف أقضي بضعة أيام أخرى في فندق ستاغ.

- فندق ستاغ؟ حيث وقعت تلك الـ... آه! أتعتقد أن ذلك من الحكمة في شيء يا سيد بوارو؟

فهز بوارو رأسه وقال مغيّراً مجرى الحديث: كنتُ أتحدث إلى السيد رولي كلود والسيدة لين فعلمتُ أنهما سيعقدان قرانهما قريباً.

فقالت العمة كاثي على الفور: لين فتاة ظريفة وأتمنى لها كل سعادة، وكذا رولي فهو رجل بمعنى الكلمة. ولكنه غبي، أعني أنه قد يبدو كذلك لفتاة رأت الدنيا مثل لين، فقد قضى

رولي طَوال مدة الحرب في مزرعته. حقاً إن ذلك لم يكُن برغبته لأن الحكومة أرادته أن يبقى، ولكن كان لذلك أثره فبقيَت دائرة تفكيره محدودة.

- ولكن خطوبة ست سنوات هي خير اختبار للعواطف.

- أجل، هو كذلك، ولكن أولئك الفتيات عندما يعدن إلى وطنهن فإنهن يشعرن بعدم الاستقرار، فلو أن إحداهن التقت بشخص ممن عاشوا حياة مليئة بالأخطار...

- مثل دافيد هنتر؟

فأسرعت العمة كاثي تقول: أؤكد لك أنه ليس بينهما أية علاقة، ولو أن هذا حدث لكان أمراً مريعاً، لا سيما بعد أن ارتكب جريمة قتل! لا يا سيد بوارو، لا تظن لحظة واحدة أن هناك تفاهماً بين لين ودافيد، فقد كانا يتشاجران دائماً. آه، أعتقد أن زوجي قد حضر، وأرجو ألاّ تذكر له شيئاً عن مقابلتنا الأولى يا سيد بوارو. عزيزي ليونيل، هذا هو السيد بوارو الذي تمكن ببراعته أن يحضر الميجور بورتر ليرى الجثة.

فقال الدكتور كلود الذي كان بادي الإجهاد وهو ينظر حوله بعينيه الزرقاوين: كيف حالك يا سيد بوارو؟ هل أنت في طريقك إلى المدينة؟

وقال بوارو لنفسه: يا إلهي! هذا يريدني أن أعود إلى لندن أيضاً.

ثم أضاف بهدوء بصوت واضح: لا، سوف أبقى في فندق ستاغ بضعة أيام.

وقطب ليونيل كلود جبينه قائلاً: فندق ستاغ؟ أيريد رجال الشرطة أن يستبقوك لبضعة أيام؟

- لا، بل سأبقى برغبتي.

- حقاً؟ إذن فلست مقتنعاً بنتيجة التحقيق؟

- لماذا تعتقد ذلك يا دكتور كلود؟

- دعك من هذا، هذه هي الحقيقة. أليس كذلك؟

- لا بدّ أن هناك ما يدعو لهذا القول.

فقال كلود بتردد: حسناً، ربما كان سبب ذلك غرابة ما حدث. حقاً نحن نقرأ في الكتب أن مصير مبتزّ الأموال هو القتل، ولكنني لم أكن أتصور أن يحدث هذا في حياتنا الواقعية فالأمر يبدو غريباً حقاً.

- وهل ترى أن نتيجة الفحص الطبي غير مرضية؟ أنا أسألك هذا بصفتي الشخصية.

- لا، لا أظن أن هناك شيئاً في ذلك.

- بل أرى أن هناك شيئاً.

فقطب الدكتور كلود جبينه وقال بتردد: ليست لي خبرة بتلك القضايا، ولكن يجب أن تعرف أن التشخيص الطبي ليس بالأمر الهين، فنحن معرضون للخطأ. إن التشخيص تخمين مبني على معلومات ضئيلة وبعض الأدلة غير الثابتة التي تشير إلى اتجاهات مختلفة، فخذ هذه الحالة مثلاً، رجل وُجد مقتولاً وملقى على الأرض وبجواره آلة وقد تلطخت بالدماء، فليس

من المعقول أن نقول إنه ضُرب بشيء آخر، ولكن رغم عدم خبرتي بالجماجم المهشمة إلا أنه لو أُسند الأمر إليّ لاتجهت شكوكي إلى شيء آخر ليس بمثل هذه الاستدارة، مثل قالب طوب أو ما شابه ذلك.

- ولكنكَ لم تذكر ذلك في التحقيق.

- أنا لم أذكره لأنني لست واثقاً تماماً، كما أن الطبيب الشرعي (وتقريره معتمَد كما تعلم) مقتنع بصواب رأيه بأن القتل حدث بواسطة الآلة الملقاة بجوار الجثة.

- ألا يمكن أن يكون قد سقط على شيء حاد؟

فحرك الدكتور كلود رأسه قائلاً: لقد كان مُلقى على وجهه وسط الحجرة وتحته سجادة من النوع السميك.

وتوقف حديثهما عند هذا الحد، فقد دخلت العمة كاثي تحمل الطعام لزوجها، ولما لم يكُن هناك مجال لاستمرار الحديث فقد استأذن بوارو في الانصراف.

-٧-

دخل بوارو إلى فندق ستاغ وقد استغرق في التفكير، وفي تلك اللحظة شعر برعدة خفيفة فقد كانت تهب ريح شرقية باردة، وألقى نظرة على القاعة الخاوية ثم فتح باب حجرة الاستراحة الذي يقع على يمينه، ولكنه تراجع لأن رائحة الدخان كانت تملأ الحجرة ونار المدفأة تكاد تخمد، ثم تقدم على أطراف أصابعه إلى باب في نهاية القاعة كُتب عليه «للنزلاء فقط»، فقابلته سيدة

عجوز كانت تجلس في أحد المقاعد تدفّئ قدميها، قابلته بنظرة قاسية جعلته ينسحب من الحجرة معتذراً.

وقف بوارو ينظر حوله برهة ثم ارتقى الدرَج، ولكنه بدلاً من أن ينحرف إلى اليسار حيث حجرته رقم ١١ انحرف إلى اليمين وأخذ يتقدم حتى وصل باب الحجرة رقم ٥، وبعد أن تلفت يمنة ويسرة فتح الباب ودخل.

كانت أرض الحجرة عارية ويبدو أن السجادة التي كانت تغطيها رُفعت لتنظيفها. وأخذ بوارو ينظر إلى محتويات الحجرة: مائدة صغيرة للكتابة وخزانة صغيرة ذات أدراج وأخرى كبيرة وفراش وحوض للماء الساخن والبارد ومقعد ذو مساند ومقعدان آخران صغيران، وأخيراً مدفأة على الطراز الفكتوري ذات رف من الرخام وقاعدة من الرخام ذات حواف، وإلى هذه الأخيرة اتجه اهتمام بوارو فانحنى وبلل إصبعه وحكه في أحد أركان الحافة ثم نظر ليرى النتيجة، فوجد إصبعه قد اسودّ قليلاً، فعاد يكرر العملية بإصبع آخَر في الركن الأيسر ولكنه إصبعه بقي نظيفاً في هذه المرة.

هز بوارو رأسه ثم اتجه صوب النافذة التي كانت تطل على سقف مجاور. لقد كان من السهل أن يدخل شخص إلى الحجرة رقم ٥ ويخرج منها دون أن يراه أحد، ثم خرج بهدوء مغلقاً الباب خلفه متوجّهاً إلى حجرته. ولكن المقام لم يطل به هناك، فقد شعر ببرودة المكان فهبط ثانية إلى القاعة وتقدم في شجاعة إلى حجرة «للنزلاء فقط» وجذب مقعداً إلى جوار المدفأة وجلس فوقه.

كان منظر السيدة العجوز مخيفاً عن قرب بشعرها الأشيب وشاربها النابت! وكان صوتها عميقاً مزعجاً وهي تقول: هذه الحجرة معدة لنزلاء الفندق فقط.

فأجابها هيركيول بوارو بقوله: وأنا من نزلاء الفندق.

وبقيت السيدة العجوز تفكر برهة قبل أن تعاود هجومها في اتهام: هل أنت أجنبي؟

- نعم.

- من رأيي أن تعودوا جميعاً.

- نعود إلى أين؟

- من حيث أتيتم.

- هذا أمر صعب.

- هراء. ألم نحارب لهذا؟ لكي يعود كل إلى المكان اللائق به ويبقى فيه.

ولم يحاول بوارو أن يدخل معها في نقاش فآثر الصمت، وبعد قليل عادت السيدة تقول: لا أدري ماذا حل بهذا المكان! أنا آتي إلى هنا كل عام لأقضي شهراً، فقد مات زوجي ودُفن هنا منذ ست عشرة سنة، وفي كل عام تسوء الخدمة ويسوء الطعام.

فحرك بوارو رأسه في حزن في حين تابعت السيدة العجوز: ولكن أفضل شيء أنهم أغلقوا المطار القريب، فقد كان أمراً مشيناً أن يحضر أولئك الطيارون الشبان إلى هنا وكل منهم يصحب فتاة.

آه من أولئك الفتيات! لا أدري ماذا حدث لأمهاتهن حتى يعشن هكذا. أنا ألوم الحكومة لأنها ترسل الأمهات للعمل في المصانع ولا تتركهن إلا عندما يضعن، ولكن هل يحتاج الأطفال للرعاية؟ الفتيات من سن الرابعة عشرة حتى الثامنة عشرة هنّ مَن يحتجنَ إلى رعاية، إلى رعاية أمهاتهن، فأولئك الفتيات لا يفكرن إلاّ في الجنود وفي الطيارين من أمريكيين وزنوج إلى بولنديين.

وبلغ من احتدادها أن تملكتها نوبة سعال، وما إن خفّت حدتها حتى عادت تقول: لماذا يضعون الأسلاك الشائكة حول المعسكرات؟ لكي يمنعوا الجنود من الوصول إلى الفتيات؟ لا، بل ليمنعوا الفتيات من الوصول إلى الجنود! انظر ماذا يرتدين، يرتدين البناطيل! ولو أنهن عرفن كيف يبدو البنطال من الخلف لما ارتدينه.

- أنا أوافقك في ذلك تماماً يا سيدتي.

- ثم ماذا يضعن على رؤوسهن؟ هل هي قبعات مناسبة؟ لا، بل أشياء ملتوية، ويغطين وجوههن بالأصباغ والمساحيق. لقد رأيت إحداهن هنا منذ بضع ليال وهي تضع وشاحاً برتقالي اللون حول رأسها، ولكن ما كدت أرمقها بنظراتي حتى اختفت، وأحمد الله أنها ليست من نزلاء الفندق. ولكنني أتساءل ماذا: كانت تفعل هنا في حجرة نوم رجل؟ هذا أمر مشين، وقد تحدثتُ إلى الفتاة ليبينكوت عنها ولكنها هي الأخرى مثلهن.

وسألها بوارو بشيء من الاهتمام: أتقولين أنكِ رأيتها تخرج من حجرة رجل؟

فقالت السيدة محتدّة: هذا ما قلتُه، لقد رأيتها بعينَي رأسي

تخرج من الغرفة رقم ٥.

- وفي أي يوم كان هذا يا سيدتي؟

- في اليوم السابق لتلك الجريمة.

- في أيّ ساعة من النهار؟

- النهار؟ لم يكُن نهاراً بل كان في المساء، فعندما ذهبت إلى حجرتي في العاشرة والربع وبينما أنا في طريقي رأيتها تخرج من الحجرة رقم ٥ بجرأة و أخذت تنظر إلى وجهي ثم تتراجع ثانية إلى داخل الحجرة وهي تضحك وتتحدث إلى الرجل الذي هناك.

- وهل سمعتِه يتكلم؟

- نعم، فعندما تراجعت إلى داخل الحجرة سمعتُه يصيح قائلاً: هيا أخرجي من هنا، فقد سئمت منك.

- وهل ذكرتِ ذلك لرجال الشرطة؟

فحدجته بنظرة قاسية ثم قامت واقفة وهي تقول: رجال الشرطة؟ وما شأني أنا ورجال الشرطة؟

ثم اندفعت خارجة من الحجرة وهي تنتفض غيظاً. وبقي بوارو بضع دقائق يفكر ثم خرج يبحث عن بياتريس ليبينكوت. قالت بياتريس: أتعني السيدة ليديتار؟ إنها تأتي إلى هنا كل عام.

- وهل تعرفين المرأة الشابة التي كانت في زيارة القتيل مساء الثلاثاء؟

- لا أذكر أن امرأة شابة أتت لزيارته في وقت من الأوقات. كيف كانت تبدو؟

- كانت تضع وشاحاً برتقالي اللون حول رأسها وتضع المساحيق على وجهها، وكانت في الحجرة رقم ٥ تتحدث إلى آردن في العاشرة والربع من مساء الثلاثاء.

- حقاً؟ ليست لدي فكرة عمن تكون يا سيد بوارو.

ثم تركها بوارو وذهب ليبحث عن المفتش سبنس. وأخذ سبنس يصغي إلى بوارو في صمت ثم اعتدل في جلسته وهو يحرك رأسه قائلاً: وهكذا نعود إلى المثل القائل «فتش عن المرأة»!

وقام من مكانه وعبر الحجرة ليعود بعد قليل حاملاً في يده إصبع أحمر الشفاه وهو يقول: لقد كان لدينا هذا كدليل على احتمال وجود امرأة، وقد عثرنا عليه تحت الخزانة ذات الأدراج في الحجرة رقم ٥، ولكننا لم نكتشف عليه آثار بصمات.

- وبطبيعة الحال قمتم بعمل التحريات اللازمة.

ابتسم سبنس قائلاً: نعم، وقد ثبتَ أن روزالين تستعمل هذا النوع من أحمر الشفاه، وكذلك لين مارشمونت. أما فرنسيس كلود والسيدة مارشمونت فلا تستعملان هذا اللون، وأما بياتريس ليبينكوت فيبدو أنها لا تستعمل نوعاً ثميناً كهذا وكذا الخادمة.

- أرى أنكم كنتم دقيقين في تحرياتكم.

- ليس تماماً، فيبدو أن في الأمر امرأة أخرى كان أندرهاي

يعرفها في وارمسلي فيل.

- وهي التي كانت معه في العاشرة والربع من مساء الثلاثاء؟

- أجل .

ثم أضاف متنهداً: وهكذا يسقط كل اتهام ضد دافيد هنتر.

- كيف؟

- لأنه على حسب التقرير الذي كتبه نزولاً على نصيحة محاميه بحركاته وسكناته يثبت أنه كان في طريقه إلى لندن في العاشرة والربع، وإليك ما كتبه: لقد غادر لندن بقطار الرابعة والدقيقة السادسة عشرة ذاهباً إلى وارمسلي هيث فوصلها في الخامسة والنصف، وأخذ طريقه إلى فاروبانك سيراً على الأقدام، وكان تعليله لسبب حضوره أنه كان يريد أشياء كان قد تركها، كخطابات وأوراق ودفتر شيكات، ولكي يرى ما إذا كانت بعض قمصانه أُعيدت من المغسلة أم لا. ثم غادر فاروبانك في السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين، ولما كان قطار السابعة والثلث قد فاته ولم يكُن أمامه غير قطار التاسعة والثلث فقد خرج للتريض سيراً على الأقدام.

- وفي أي اتجاه ذهب في سيره؟

قال المفتش وهو يرجع إلى مذكراته: يقول إنه سار إلى داون كوبس وباتس هيل ثم لونج ريدج.

- أي أنه كان يسير في دائرة حول البيت الأبيض .

- أنت سريع الحفظ لجغرافية الأماكن يا سيد بوارو .

- لا، لم أكن أعرف الأماكن التي ذكرت أسماءها، فقط مجرّد تخمين.

- مجرّد تخمين؟!

ومال المفتش برأسه جانباً ثم تابع: وعندما وصل إلى لونج ريدج تبين مرور الوقت فأسرع يعدو عبر الحقول إلى محطة وارمسلي هيث، وتمكن بصعوبة من أن يلحق بالقطار، ووصل إلى محطة فكتوريا في العاشرة والدقيقة الخامسة والأربعين فأخذ طريقه سيراً على الأقدام إلى المنزل فوصله في الحادية عشرة.

- وهل لديك ما يثبت ذلك؟

- ليس لدينا الشيء الكثير، فقد رآه رولي كلود وآخَرون يصل إلى وارمسلي هيث، وعندما وصل هنتر إلى منزل فاروبانك لم يكُن فيه أي واحدة من الخادمات، ولم يره أحد وهو يدخل المنزل ولكنهن وجدن عقب سيجارة في حجرة المكتبة كما لاحظن حدوث عبث في خزانة الملابس الداخلية. وقد رآه أحد البستانيين وكان يعمل متأخراً، كما التقت به الآنسة لين مارشمونت بالقرب من مارتن وود عندما كان عائداً ليلحق بالقطار.

- وهل رآه أحد وهو يستقل القطار؟

- لا، ولكنه اتصل هاتفياً حال وصوله إلى لندن بالآنسة لين مارشمونت، وكان ذلك في الحادية عشرة وخمس دقائق.

- وهل تأكدتم من ذلك؟

- نعم، وقد علمنا أنه حدث اتصال هاتفي بينه وبين رقم الهاتف رقم ٣٦، وهو رقم الآنسة مارشمونت، وكان ذلك في الحادية عشرة وأربع دقائق.

فهمهم بوارو قائلاً: هذا أمر مسلّ.

ولكن سبنس استمر يقول: وقد غادر رولي كلود حجرة آردن في فندق ستاغ في التاسعة إلا خمس دقائق، وفي التاسعة وعشر دقائق التقت لين مارشمونت بهنتر في مارتن وود، فلو أنه قطع تلك المسافة من فندق ستاغ عدواً فهل كان لديه الوقت الكافي ليقابل آردن ويتشاجر معه ويقتله ثم يذهب إلى مارتن وود؟ وعلى ذلك فإما أنه قُتل بيد المرأة التي سقط منها أحمر الشفاه أو بيد شخص آخر، وبعد أن انتهى من جريمته ضبط عقربَي الساعة على التاسعة وعشر دقائق.

وبقي بوارو صامتاً فقال سبنس: فيم تفكر يا سيد بوارو؟

- كنت أفكر في أمر ذلك المشي حول البيت الأبيض، وتلك المقابلة في مارتن وود، وأخيراً تلك المكالمة الهاتفية... كل ذلك حدث في حين كانت لين مخطوبة لرولي كلود. كم أتمنى لو أعرف ما دار بينهما من حديث!

- أهو حب الاستطلاع؟

- نعم، فحب الاستطلاع يستهويني دائماً.

## -٨-

رغم تأخر الوقت كانت لا تزال أمام بوارو زيارة أخرى، فأخذ طريقه إلى منزل جيريمي كلود حيث قادته خادمة صغيرة إلى حجرة مكتب جيريمي، وهناك أخذ ينظر إلى صورة نصفيه كبيرة لجوردون كلود على المكتب ثم صورة أخرى للورد إدوارد ترنتون يمتطي صهوة جواده، وكان بوارو يتفرس في تلك الصورة الأخيرة عندما دخل جيريمي كلود، فقال مرتبكاً: أرجو المعذرة.

فقال جيريمي وفي صوته رنة فخار: هذا والد زوجتي، وهذا واحد من أفضل جياده، وقد كان الثاني في سباق الدربي في عام ١٩٢٤. هل أنت من محبّي السباق؟

- لا.

- إنها رياضة تكلف كثيراً، وقد خسر اللورد ترنتون أمواله بسببها واضطر أن يعيش في الخارج.

وسكت كلود قليلاً ثم قال: هل من خدمة أؤديها لك يا سيد بوارو؟ نحن أفراد العائلة ندين لك بفضل العثور على الميجور بورتر ليدلي بشهادته عن شخصية القتيل.

- يبدو أن العائلة مبتهجة لهذا الأمر.

- إنهم أقرب إلى الفرَج، ولكن دعنا من هذا ولنتحدث عما أتيت من أجله.

- لقد أتيتُ إليك يا سيد كلود لأسألك إن كنتَ واثقاً من

أن أخاك لم يترك وصية، أعني بعد زواجه.

قال جيريمي وقد بدت عليه الدهشة: لا أظن أن شيئاً كهذا قد خطر بباله، وأنا واثق من أنه لم يكتب وصية أخرى قبل مغادرته نيويورك.

- ربما يكون قد كتب وصية في خلال اليومين اللذَين قضاهما في لندن.

- أتعني أنه ذهب إلى محام هناك؟

- أو كتبها بنفسه.

- ولكن إن صدق هذا فمَن الشهود؟

فقال بوارو مذكّراً: لا تنسَ أنه كان في المنزل ثلاثة من الخدم، وأن أولئك الخدم قُتلوا في نفس الليلة التي قُتل فيها.

- هذا صحيح، ولكن لو أن هذا حدث حقاً فلا بد أن الوصية أُتلفت كذلك من جرّاء الانفجار.

- هناك احتمال أن تكون الوصية لم تتلف تماماً، كأن تكون قد وُضعت في خزانة حديدية.

- حسناً، هذه فكرة جيدة يا سيد بوارو ولكنني لا أعتقد أن شيئاً من هذا قد حدث؛ فأنا لا أذكر وجود خزانة بالمنزل، كما أن جوردون كان يحتفظ بأوراقه المهمة في مكتبه بمقر عمله ولم نعثر بينها على أية وصية.

فقال بوارو بإلحاح: ولكن الإنسان يجب أن يتحرى من القائمين بمراقبة الغارات مثلاً، فهل تفوضني لعمل ذلك؟

- نعم، بالتأكيد. جميل منك أن تهتم بهذا الأمر. لا أعتقد أنك ستلقى نجاحاً في مهمتك هذه، ولكنها محاولة على أي حال. أظنك ستعود الآن إلى لندن؟

ضاقت حدقتا بوارو، فقد كان التحفز بادياً في نبرات صوت جيريمي، وقال يحدث نفسه: ما لهم جميعاً يريدون إبعادي وإعادتي إلى لندن؟!

وقبل أن يتمكن من أن يقول شيئاً فُتح الباب ودخلت فرنسيس كلود. ولفت نظر بوارو أمران، أن علامات المرض كانت بادية عليها بوضوح، والثاني أنها كانت تشبه أباها إلى حد كبير. وبعد أن حيت بوارو أخذ جيريمي يشرح لها وجهة نظر بوارو عن احتمال وجود وصية، وما إن انتهى حتى بدا الشك في نظرات فرنسيس وقالت: هذا مجرّد احتمال.

- وسوف يذهب السيد بوارو إلى لندن ليقوم بتحرياته.

فقال بوارو: لقد كان الميجور بورتر مراقب غارات في تلك المنطقة كما فهمت.

ظهرت على وجه السيدة كلود انفعالات غريبة وقالت: مَن الميجور بورتر؟

هزّ بوارو كتفيه قائلاً: إنه ضابط جيش متقاعد يعيش بما يحصل عليه من معاش.

- وهل كان في إفريقيا حقاً؟

نظر بوارو إليها بدهشة قائلاً: بالتأكيد يا سيدتي، ولِمَ لا؟

فقالت بشرود: لا أدري، فقد حيرتني.

- أفهم من ذلك يا سيدة كلود...

فنظرت إليه بحدة وقد بدا الهلع في عينيها، ثم استدارت إلى زوجها قائلة: جيريمي، كم أشعر بالحزن من أجل روزالين فهي تعيش وحدها في فاروبانك، ولا بد أنها حزينة للقبض على دافيد. فهل تمانع في أن تحضُر وتقيم بيننا؟

بدا الشك في نبرات جيريمي وهو يقول: ولكن هل تعتقدين بصواب هذا الرأي يا عزيزتي؟

- صواب؟ لا أدري، ولكنها فتاة بائسة.

- أنا أشك في أنها ستقبل ضيافتك.

- ما عليّ إلا أن أعرض عليها.

فقال المحامي بهدوء: افعلي ما يتراءى لكِ ما دام فيه ما يشعرك بالسعادة.

- السعادة؟

قالتها بمرارة ثم أسرعت تنظر إلى بوارو الذي همهم قائلاً: سأترككما الآن.

وتبعته حتى القاعة، وقالت: هل أنتَ ذاهب إلى لندن؟

- سأذهب في صباح الغد، ولكنني لن أمكث أكثر من أربع وعشرين ساعة أعود بعدها إلى فندق ستاغ حيث يمكنكِ الاتصال بي يا سيدتي إن احتجت إليّ.

فسألته بحدة: ولماذا أحتاج إليك؟

لم يجب بوارو على سؤالها بل قال: سأكون في فندق ستاغ.

* * *

في تلك الليلة قطع سكونَ الظلام صوتُ فرنسيس كلود تقول لزوجها: لا أصدّق أن ذلك الرجل سيذهب إلى لندن للسبب الذي أبداه، ولا أصدق ما ذكره عن احتمال وجود وصية لجوردون. هل تصدّق هذا الأمر يا جيريمي؟

فأجابها صوت متعب: لا يا فرنسيس، إنه ذاهب لغرض آخر.

- أيّ غرض؟

- لا أدري.

- وماذا نحن فاعلان يا جيريمي؟

فأجابها على الفور: أعتقد أنه ليس أمامنا غير شيء واحد نأمله يا فرنسيس.

## -٩-

كان أول شيء فعله بوارو عند وصوله إلى لندن أن اتصل بأحد الموظّفين المسؤولين ليستفسر منه عن حادثة مقتل جوردون كلود في أثناء الغارة على لندن، فعلم منه أن المنزل

قد تهدّم تماماً وأن السقف الذي بقي دون تهدم أزيل استعداداً لبناء منزل جديد، وأنه لم ينجُ من الموت غير دافيد هنتر والسيدة كلود، أما الخدم الثلاثة الذين كانوا بالمنزل وهم فريدريك جيم وزوجته إليزابيث جيم وإيلين كوريجا فقد قُتلوا أيضاً بسبب الغارة في الحال، وأما جوردون كلود فقد مات في طريقه إلى المستشفى دون أن يعود إليه وعيه.

وأخذ بوارو يدوّن أسماء وعناوين أقرب أقرباء الخدم الثلاثة وهو يقول: من المحتمل أن يكونوا قد ذكروا شيئاً لأقاربهم على سبيل الثرثرة يفيدني فيما أنا بصدده.

ونظر إليه الموظّف في شك، فقد كان جيم وزوجته من دورست أما إيلين كوريجا فمن كاونتي كورك. وكانت خطوة بوارو التالية أن أخذ طريقه إلى مسكن الميجور بورتر، فقد تذكّر ما قاله بورتر من أنه كان مراقباً للغارات في أثناء الحرب وربما كان يقوم بالخدمة في تلك الليلة التي تهدّم فيها منزل جوردون فرأى شيئاً من الحادث، وليس ذلك فقط فقد كان لديه من الأسباب الأخرى ما جعله يريد التحدث إليه.

ولكن ما كاد يتجه إلى شارع إدج حتى أدهشه وجود أحد رجال الشرطة بملابسه الرسمية خارج المنزل الذي يقصده، كما لفت نظرَه وقوفُ لفيف من الصبية ينظرون إلى المنزل. فشعر بوارو بانقباض، وما كاد يتقدم قليلاً من المنزل حتى استوقفه الشرطي قائلاً: لا يمكنك الدخول هنا يا سيدي.

- ماذا حدث؟

- أنت لا تقطن هذا المنزل، أليس كذلك يا سيدي؟

فحرك بوارو رأسه نفياً فأضاف الشرطي قائلاً: ومَن الذي كنت تريد مقابلته؟

- أردت مقابلة الميجور بورتر.

- هل أنت صديق له يا سيدي؟

- لا، لا يمكنني أن أصف نفسي بأنني صديقه. ماذا حدث؟

- لقد أطلق الرصاص على نفسه. ها هو المفتش.

وفي تلك اللحظة ظهر بالباب رجلان: أحدهما مفتش المنطقة والآخَر الشرطي غريفز من قوة شرطة وارمسلي فيل، وفي الحال تعرف الأخير على بوارو وقدمه للمفتش الذي دعاه للدخول، وقال غريفز موضحاً وهم يدخلون إلى المنزل: لقد اتصلوا بنا هاتفياً في وارمسلي فيل فكلفني المفتش سبنس بالحضور.

- أهو انتحار؟

أجابه المفتش قائلاً: نعم، ولا أدري ما إذا كان اضطراره للإدلاء بأقواله في التحقيق يثقل كاهله، فإن هذه الأشياء تؤثر تأثيراً غريباً في بعض الأشخاص. ولكنني علمت أنه كان مغموماً في المدة الأخيرة، وأعتقد أن سوء حالته المالية وأشياء أخرى هي التي دعته لذلك، وقد أطلق على نفسه الرصاص من مسدس كان يملكه.

فسأله بوارو بقوله: هل تسمحون لي أن أصعد إلى طابقه؟

- كما تشاء يا سيد بوارو.

ثم استدار إلى الشرطي غريفز وطلب منه أن يصحب بوارو. وقاده غريفز إلى الطريق صاعداً إلى حجرة بالطابق الأول، وكانت الحجرة كما رآها بوارو من قبل، وكان الميجور بورتر جالساً في المقعد الكبير ذي المساند وقد تدلى رأسه إلى الأمام وذراعه اليمنى ممتدة بجواره صوب أرض الحجرة، وفوق السجادة على امتداد ذراعه استقر المسدس.

قال غريفز موضّحاً في حين كان بوارو ينظر إلى الجرح الذي أحدثته الرصاصة في الجهة اليمنى من جبهته وقد قطب جبينه: لقد وقع الحادث منذ بضع ساعات على حسب تقديرهم، فإن أحداً لم يسمع صوت الطلقة كما أن صاحبة المنزل كانت في الخارج في ذلك الحين تبتاع بعض الحاجيات.

وبقي بوارو يتأمل الجثة فسأله غريفز: هل لديك فكرة يا سيد بوارو عن السبب الذي دفعه للإقدام على هذا؟

فأجابه بوارو وهو مستغرق في التفكير: نعم، هناك سبب وجيه لذلك، ولكن ليست هذه هي الصعوبة.

وانتقل بأنظاره إلى مائدة صغيرة إلى يسار الميجور بورتر عليها غليون وصندوق ثقاب، ثم عاد ينقل النظر في أنحاء الحجرة. ثم خطا صوب خزانة ذات غطاء منزلق ولكنه لم يعثر على شيء لافت للنظر، فقد كان كل شيء منظماً، فنظر إلى غريفز متسائلاً: ألم يترك رسالة أو ما شابه ذلك؟

وحرك غريفز رأسه نفياً قائلاً: لم يترك شيئاً، وهو ما كان يتوقعه المرء من ضابط سابق في الجيش.

- هذا غريب.

وشعر بوارو أن في الأمر شيئاً، فقد كان غريباً أن شخصاً مثل الميجور بورتر ظل طوال حياته دقيقاً منظماً في تصرفاته لا يكون كذلك في مماته. وقطع عليه تأملاته صوت غريفز يقول: سوف يكون لهذا النبأ وقع الصاعقة في نفوس آل كلود، وعليهم أن يبحثوا عن شخص آخر ممن كانوا يعرفون أندرهاي جيداً.

ثم أضاف بشيء من القلق: هل من شيء آخَر تريد أن تراه يا سيد بوارو؟

فهز بوارو رأسه ثم تبع غريفز خارجاً من الحجرة، وبينما هما يهبطان الدرج التقيا بصاحبة المنزل التي توقفت حين شاهدتهما ريثما تلتقط أنفاسها ثم اندفعت تقول بانفعال في حين خرج غريفز هابطاً: لا أستطيع أن ألتقط أنفاسي، وأظن ذلك نتيجة ضعف القلب فقد ماتت أمي بالسكتة القلبية وهي في الطريق، وقد كدت أسقط أنا الأخرى عندما وجدته. كانت صدمة قاسية ولم أكن أتصور أن يُقدِم على شيء كهذا، رغم ما كان يبدو عليه من ضيق في الأيام الأخيرة. ربما كان المال هو سبب مضايقاته، وقد زاد الطين بلة اضطراره للذهاب أمس إلى أوستشاير وارمسلي فيل ليدلي بشهادته في التحقيق، فقد عاد شارد الذهن مبلبل الفكر وأخذ يقطع أرض الحجرة جيئة وذهاباً طَوال الليل، ولا غرو فقد شاهد المسكين صديقاً له قتيلاً. وقد خرجتُ هذا الصباح لابتياع بعض الحاجيات، ولمّا كان البحث عن السمك يستغرق وقتاً طويلاً فقد صعدت إليه لأسأله ما إذا كان يريد قدحاً من الشاي، وهناك وجدتُ المسكين جالساً في مقعده وقد سقط المسدس من يده فأسرعت لأخبر رجال

الشرطة. لا أدري ماذا سوف يحدث بعد ذلك في عالَمنا هذا!

فأجابها بوارو ببطء: العيش في عالمنا هذا أصبح صعباً، إلا للأقوياء.

-١٠-

وصل بوارو إلى فندق ستاغ بعد الثامنة بقليل فوجد رسالة من فرنسيس كلود تدعوه فيها لمقابلتها، فترك الفندق وذهب إليها في الحال. وقد وجدها تنتظره في حجرة الاستقبال، وبعد أن حيته وأخذ مكانه في الحجرة الأنيقة أخذت تقول: لقد قلتَ لي إنني قد أحتاج إليك يا سيد بوارو، وقد كنتَ مصيباً في قولك فلديّ ما أقوله وأنت أفضل شخص لسماعه.

- الإفصاح عن أمر لمن له دراية به من قبل يكون من الأسهل دائماً يا سيدتي.

- وهل تعتقد أنك تدري ما أنوي أن أقول؟

فهز بوارو رأسه بالإيجاب، فقالت: ومنذ متى؟

وتوقفت، فأسرع بوارو يقول: منذ اللحظة التي رأيتُ فيها صورة أبيك، فنظرة واحدة إلى الصورة تكفي لأن يعرف المرء أنكما من عائلة واحدة، فأنتما متشابهان إلى حد كبير، وقد كان الشبه كبيراً كذلك بالنسبة للرجل الذي كان يدّعي أنه أينوك آردن.

فتنهدت بحزن ثم قالت: أجل، صدقت يا سيد بوارو؛

فقد كان تشارلس أحد أقاربي. ولم تكُن صلتي به وثيقة رغم أننا كأطفال كنا نلعب معاً، وها قد أتيتُ به ليلقى حتفه على تلك الصورة الفظيعة.

وصمتت قليلاً فقال بوارو برفق: أخبريني بكل شيء.

فقطعت تفكيرها لتقول: أجل، يجب أن تعرف كل شيء. لقد بدأت متاعبنا بعد وفاة جوردون إذ وجد زوجي نفسه في مأزق حرج. كان في حاجة إلى المال وكانت الفضيحة تتهدده وربما السجن، وما زال كذلك. ورأيت أن أنقذ زوجي فتوجهت إلى روزالين كلود أطلب قرضاً، وكادت توافق لو أنها تُركت لنفسها ولكن أخاها دافيد الذي كان في حالة نفسية سيئة (أو هكذا خُيل إليّ) رفض في وقاحة أن يساعدنا، فخرجتُ من عندهما وقد بدأت خيوط فكرة تتجمع في رأسي، فقد تذكرتُ تلك القصة التي رواها لي زوجي والتي كان قد سمعها منذ عهد طويل في النادي، وأظنك كنت موجوداً في النادي ليلتئذ فلا داعي لإعادتها.

ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن تستطرد قائلة: وبالاختصار رأيتُ أن هناك احتمالاً في أن يعود زوج روزالين الأول وفي تلك الحال تُحرم من الإرث الذي آل إليها من جوردون، وبدأت الفكرة تختمر في رأسي وأنه من الممكن استغلال احتمال عودة ذلك الزوج إلى الحياة، فسعيت إلى ابن عمي تشارلس الذي حضر إلى هذه البلاد وراء الرزق. ولم يكُن تشارلس بالشخص المتهور (رغم أنه قضى مدة في السجن) ولكنني عرضت عليه الأمر، وهو كما ترى ابتزاز أموال بالتهديد. وكنا مطمئنين إلى أن هناك احتمالاً كبيراً في أن لا يصل الخبر إلى الشرطة لأن دافيد

هنتر ليس ممن يلجؤون إلى الشرطة.

ثم تابعت بقسوة: وأفلحت الخطة وساعد على نجاحها سفر روزالين إلى لندن، فما كان تشارلس ليجرؤ على التلميح بأنه روبرت أندرهاي لو أنها بقيت هنا، ووقع دافيد في الفخ فوافق على إحضار المبلغ في التاسعة من مساء يوم الثلاثاء، ولكن...

وتعثر صوتها وهي تقول: ولكن كان علينا أن نعرف أن دافيد شخص خطير، فها هو ذا قد قتل تشارلس ولولاي لكان حياً الآن. وتوقفت قليلاً ثم تابعت بصوت جاف: ولا يمكنك أن تتصور شعوري منذ تلك اللحظة، شعور من تسببت في قتل آخَر.

فقال بوارو: ولكنك لم تدعي الفرصة تمر على أية حال فأغريت الميجور بورتر بالتعرف على ابن عمك على أنه روبرت أندرهاي.

فاندفعت تقول بحدة: أقسم لك أنني لم أفعل شيئاً من هذا، وأعترف لك بأنني ذُهلت عندما صرّح الميجور بورتر بأن تشارلس هو روبرت أندرهاي ولم أستطع أن أفهم شيئاً، ولا أدري حتى اللحظة ماذا دفع به إلى ذلك. ولكن لا بد أن أحداً صنع ذلك على أية حال، ولا يمكن أن يكون زوجي جيريمي، فلا يمكن أن يقدِم أحدنا على شيء كهذا. حقاً قد كنتُ مستعدة لأن أبتزّ مالاً بطريق التهديد ولكن هذا شيء والخداع شيء آخر، كما أنني كنت أعتبر أن لنا الحق في جزء من أموال جوردون، فلمّا أخفقتُ في الوصول إليه بالطريق الودي سعيت للوصول إليه بطريق الابتزاز، ولكنني ما فكرتُ لحظة واحدة في أن أحرم

روزالين من الميراث كاملاً بإثبات أنها لم تكُن زوجة جوردون. لا يا سيد بوارو، لم أكن لأفعل شيئاً كهذا وأرجو أن تصدقني.

فقال بوارو ببطء: أنا أعترف بأن لكل منا خطاياه التي لا يمكن أن يقع في غيرها. ثم نظر إليها بحدة قائلاً: وهل تعرفين يا سيدة كلود أن الميجور بورتر أطلق على نفسه الرصاص عصر اليوم؟

فصاحت وقد اتسعت عيناها فزعاً: لا، لا يا سيد بوارو!

- هذا ما حدث يا سيدتي؛ فالميجور بورتر كان في قرارة نفسه رجلاً شريفاً، ولكنه من الناحية المالية كان في حالة سيئة، فلما رأى الإغراء لم يستطع أن يقاوم وهو يعتقد أن في استطاعته أن يقنع نفسه بأنه لم يأتِ جرماً، لقد كان ناقماً على المرأة التي تزوجها صديقه أندرهاي لأنها أساءت إلى صديقه، وكان يرى أنها لا تستحق المال الذي آل إليها من زوجها الثاني جوردون، كما رأى أن في التعرف على القتيل على أنه أندرهاي ما يكفل له حياة رغدة فقد كان واثقاً من أنه سيحصل على مبلغ كبير من المال عندما تؤول الثروة إلى آل كلود. أجل، لقد كان في ذلك إغراء لا يمكن التغلب عليه، وعندما بدأ التحقيق أخذ جرمه يتبدّى له وشعر بأنه سوف يُضطر إلى تكرار كذبه في القريب العاجل ولكن بعد أن يقسم اليمين، وليس هذا فقط، بل أُلقي القبض على شخص بتهمة القتل وكان لشهادة بورتر أثرها في توجيه الاتهام، وعاد إلى منزله ليواجه الحقائق كما هي فلم يجد مجالاً للاختيار.

- فأطلق الرصاص على نفسه؟

- أجل.

فهمهمت فرنسيس قائلة: ولكنه لم يذكر مَن...

وحرك بوارو رأسه ببطء قائلاً: لا، لم يذكر شيئاً عمن أغراه بارتكاب ذلك الخداع.

وأحس بوارو وهو يرقبها بومضة ارتياح تبدو عليها، ثم قامت فسارت إلى النافذة وهي تقول: وهكذا نعود من حيث بدأنا.

وأخذ بوارو يتساءل عما يجول في خاطرها في تلك اللحظة.

## -١١-

في صباح اليوم التالي سمع بوارو نفس الجملة التي سمعها من فرنسيس، سمعها من المفتش سبنس: وهكذا نعود من حيث بدأنا، فعلينا أن نعرف من يكون أينوك آردن حقاً.

فقال بوارو: في استطاعتي أن أخبرك بهذا، اسمه الأصلي هو تشارلس ترنتون.

صفر المفتش ثم قال: تشارلس ترنتون... أحد أفراد عائلة ترنتون! وأظن أن السيدة جيريمي هي التي كلفته بهذا الأمر، وعلى كل حال فلن نتمكن من إثبات علاقتها بما حدث. أتقول إنه تشارلس ترنتون؟ أنا أذكر هذا الاسم.

فأومأ بوارو برأسه قائلاً: أجل، له ملف عندكم، فقد دخل

السجن ذات مرة.

- نعم، وإذا لم تكُن ذاكرتي قد خانتني فقد كان محتالاً، وكان ينزل في فندق ريتز ثم يخرج فيبتاع سيارة رولز ويأخذها لتجربتها فيمر بها على أفخم المحال التجارية فيبتاع ما يشاء ولا ينقدهم الثمن بل يترك لهم شيكات، وبطبيعة الحال ما كان ليخطر لأحدهم أن شخصاً تقف سيارة رولز في انتظاره وينزل في فندق ريتز ليس له رصيد في البنك، وبعد أن يمضي أسبوعاً أو ما قارب ذلك وعندما تبدأ الشبهات تحوم حوله يختفي عن الأنظار بعد أن يبيع كل ما لديه بأثمان زهيدة. أجل، هذا هو تشارلس ترنتون.

فقال بوارو: وماذا يكون موقفكم من دافيد هنتر؟

- ليس أمامنا إلا أن نطلق سراحه، فقد كان مع آردن امرأة في تلك الليلة، وليس هذا استناداً إلى قول السيدة العجوز فقط، فقد أخبرنا جيمي بيرس أنه بينما كان في طريقه إلى منزله (وكان ذلك بعد العاشرة) رأى امرأة لا يعرفها ظنها من نزلاء فندق ستاغ تخرج من الفندق وتدخل إلى حجرة الهاتف خارج مكتب البريد.

- ألم يرَها من قرب؟

- لم يرها من قرب، فقد كان في الناحية الأخرى من الشارع. ولكن من تظنها يا سيد بوارو؟

- وهل ذكر ماذا كانت ترتدي؟

- نعم، كانت ترتدي معطفاً وسروالاً وتلف رأسها بوشاح

برتقالي، وكان وجهها مزيناً بالأصباغ، وهذا يتفق مع ما ذكرته السيدة العجوز.

فقال بوارو وهو يقطب جبينه: أجل، يتفق تماماً.

وسأله سبنس: والآن، من تكون؟ ومن أين أتت؟ وإلى أين ذهبت؟ كما تعرف فقطار التاسعة والثلث هو آخِر قطار يذهب إلى لندن، فهل استقلّت قطار العاشرة وثماني عشرة دقيقة صباحاً أم كانت تستخدم سيارة أم أنها اختفت في مكان ما؟ لقد تحرينا هذا الأمر ولكن دون جدوى.

- وماذا عن قطار السادسة والدقيقة الثامنة عشرة.

- هذا القطار مزدحم دائماً وأغلب ركابه من الرجال، وكان من السهل أن يلاحظوا وجود امرأة، أعني ذلك النوع من النساء. والآن ليس هناك سوى احتمال واحد، وهو أنها كانت تستخدم سيارة. ولكن لو أن هذا حدث حقاً للفت وجودُها الأنظارَ وخاصة أن وارمسلي فيل لا تمر بها سيارات لأنها بعيدة عن الطريق العام.

- ألم يرَ أحد سيارة في تلك الليلة؟

- سيارة الدكتور كلود فقط، فقد ذهب ليزور مريضاً في طريق ميدلنجهام، فلو أنها استقلّت السيارة معه للفت وجود امرأة غريبة معه جميع الأنظار.

فقال بوارو ببطء: من المحتمل أنها لم تكُن امرأة غريبة، فمن الصعب على رجل ثمل بعض الشيء أن يتعرف على أحد من الأهالي ليست له صلة به على بعد مئة ياردة، وخاصة إذا

كان ذلك الشخص يرتدي زياً يخالف ما اعتاد أن يرتديه.

ونظر إليه سبنس متسائلاً فقال: هل تعتقد أن بيرس هذا يمكنه التعرف على الآنسة لين بعد تلك المدة الطويلة التي قضتها في الخارج مثلاً؟

- لقد كانت لين في البيت الأبيض مع أمها في ذلك الوقت.

- هل أنت واثق من ذلك؟

- نعم، فقد علمتُ من السيدة ليونيل كلود زوجة الطبيب أنها اتصلت بلين هاتفياً في العاشرة وعشر دقائق حين كانت روزالين في لندن، أما السيدة جيريمي فلم أرَها قط ترتدي سروالاً كما أنها لا تضع المساحيق والأصباغ بكثرة، زد على ذلك أنها ليست فتية.

مال بوارو إلى الأمام قائلاً: يا عزيزي، الإنسان لا يمكنه أن يتبين السن في ليلة قاتمة وفي أنوار ضعيفة.

- إلامَ تهدف يا بوارو؟

- لقد أخبرتُك من قبل أن كل ما في القضية خطأ. خذ القتيل مثلاً، ففي الوقت الذي كان يدّعي فيه أنه أندرهاي كانت أفعاله تناقض ذلك، فقد كان أندرهاي رجلاً شهماً نبيلاً، أما نزيل فندق ستاغ فكان مبتز أموال من الطراز الوضيع ولم يكُن شهماً أو نبيلاً، وعلى ذلك فلم يكُن من المعقول أنه أندرهاي لأن طباع الإنسان لا يمكن أن تتغير، أما النقطة المهمة في الموضوع الآن فهي: لماذا قال بورتر بأن الرجل أندرهاي؟

- أتعتقد أن في ذلك ما يشير إلى أن السيدة جيريمي لها علاقة بالموضوع؟

- لقد قادني الشبه إلى السيدة جيريمي، فالشبه بينها وبين تشارلس هذا كبير، ولكن ما يحيرني هو لماذا خضع دافيد هنتر لهذا التهديد بتلك السهولة؟ وهل هو من النوع الذي يسمح لأحد أن يبتز أمواله بالتهديد؟ والجواب على هذا يكون بالنفي، وعلى ذلك فتصرفه هذا يثير الشك. وهناك روزالين فتصرفاتها محيرة للعقل، ولكن شيئاً واحداً أريد أن أعرفه: لماذا هي خائفة؟ ولماذا تعتقد أن شيئاً ما جعلها تشعر بهذا الخوف؟ وليس هو الخوف من أن تفقد ثروتها، بل أكثر من ذلك، فهي تخشى على حياتها.

- يا إلهي! هل تعتقد يا سيد بوارو...؟

- يجب أن لا تنسى يا سبنس أننا قد عدنا من حيث بدأنا كما ذكرتَ منذ قليل، أو على الأصح أن عائلة كلود قد عادت من حيث بدأت؛ فروبرت أندرهاي مات في إفريقيا، ولا يحول بينهم وبين التمتع بثروة جوردون كلود غير روزالين كلود.

- وهل تعتقد حقاً أن أحدهم قد يُقدِم على قتلها؟

- روزالين في السادسة والعشرين من العمر، ورغم أن حالتها المعنوية ليست على ما يرام إلا أن صحتها سليمة ولا يُستبعد أن تعيش حتى تبلغ السبعين أو ربما أكثر، أي أن تعيش أربعة وأربعين عاماً أخرى، فهل تعتقد يا حضرة المفتش أن أربعة وأربعين عاماً مدة طويلة للانتظار؟

## -١٢-

ما كاد بوارو يغادر مركز الشرطة حتى التقى بالعمة كاثي التي كانت تحمل عدة أكياس ممتلئة بما ابتاعته من حاجيات، وما إن رأته حتى اتجهت صوبه قائلة: أنا آسفة لأجل الميجور بورتر، ولا يسعني إلا أن أرى أنّ نظراته للحياة كانت مادية إلى أقصى حد، فحياة الجندية محدودة، ورغم أنه قضى جزءاً كبيراً من حياته في الهند فيبدو لي أنه لم يستفِد من التعاليم الروحية. آه، هذا مؤسف حقاً.

وهزّت العمة كاثي رأسها، وتراخت قبضتها عن الأكياس فمالت في يدها وسقطت سمكة إلى الأرض، فانحنى بوارو وأعادها إليها، وفي تلك اللحظة سقطت علبة من كيس آخر وتدحرجت على الأرض، فأسرع بوارو وراءها وأعادها إليها فقالت: شكراً لك يا سيد بوارو، شكراً لك. كم أنا مهملة! ولكنه الحزن لأجل ذلك المسكين.

وأخرج بوارو منديله لينظف العلبة فقالت: آه، حقاً يوجد عليها مادة غروية ولكنني لا أريد استعمال منديلك النظيف فهذا كرم منك. وكما كنتُ أقول فنحن في الحياة أموات وفي الموت أحياء، ولن يدهشني أبداً أن أرى الجسم الأثيري لأحد أصدقائي أو صديقاتي الأعزاء ممن انتقلوا إلى العالم الآخَر، فقد يحدث كما تعلم أن نمر بهم في الطريق، وأقرب دليل تلك الليلة.

فقاطعها بوارو قائلاً: هل تسمحين؟

وأدخل العلبة في الكيس ثم أضاف: نعم، ماذا كنتِ تقولين؟

فقالت العمة كاثي: كنتُ أتحدث عن الأجسام الأثيرية، فقد طلبتُ قطعة من فئة البنسَين لأنه لم يكن معي غير قطع من فئات نصف البنس، وماذا رأيت؟ رأيت وجهاً ليس غريباً عني، ولكنني لم أتمكن من التعرف عليه، ولم أستطع حتى الآن. ولكنني أعتقد أنه كان وجه إحدى صديقاتي ممن انتقلن إلى العالم الآخَر، ربما منذ أمد بعيد. آه، كم هو جميل أن يرسل هؤلاء بضعة بنسات لمن هم في ضائقة حتى ولو كان ذلك للهاتف! يا لهذا الزحام! يجب أن أسرع.

ثم اندفعت السيدة ليونيل كلود لتقف في الطابور أمام بائع الحلوى في حين استمر بوارو في سيره في شارع هاي، ولكنه لم يدخل فندق ستاغ بل أخذ طريقه إلى البيت الأبيض، فقد كان يرغب في التحدث إلى لين مارشمونت.

كان الجو جميلاً واليوم أقرب إلى أيام الصيف إلا من نسمات الربيع المنعشة، وترك بوارو الطريق الرئيسي وتبع طريق المشاة الذي يمر بالقرب من لونج ويللوز إلى التل المطل على فاروبانك. لقد تبع تشارلس ترنتون هذا الطريق من المحطة في يوم الجمعة السابق لوفاته، وفي هبوطه التل التقى بروزالين في أثناء صعودها ولكنه لم يتعرف عليها، وليس هذا غريباً لأنه ليس روبرت أندرهاي، كما لم تتعرف هي عليه بطبيعة الحال لنفس السبب. ولكنها أقسمت عندما عرضت الجثة عليها أنها لم ترَ الرجل من قبل، فهل كان ذلك من أجل نجاتها أم أنها كانت في ذلك اليوم غارقة في أفكارها حتى إنها لم تُلقِ بالاً إلى الرجل وهي تمرّ به؟ وإن كان هذا صحيحاً ففيمَ كانت تفكر؟

ثم انحنى بوارو آخذاً طريقه فوق الممر الجنوبي المؤدي إلى

البيت الأبيض، وكانت حديقة البيت جميلة بأزهارها المختلفة تتوسطها شجرة تفاح كبيرة، وتحت الشجرة فوق أريكة خشبية جلست لين مارشمونت.

قفزت لين باضطراب عندما حياها بوارو وقالت: لقد أفزعتني يا سيد بوارو، فلم أسمع وقع خطواتك فوق الحشائش. أرى أنك لم تزل هنا في وارمسلي فيل؟

- نعم، أنا لا أزال هنا.

- لماذا؟

وهزّ بوارو كتفيه قائلاً: هذه بقعة هادئة حيث يستطيع الإنسان أن يستريح.

- أنا سعيدة لوجودك.

- أنتِ لا تقولين لي كما يقول بقية أفراد العائلة: "متى تعود إلى لندن يا سيد بوارو؟" ثم تنتظرين في شوق لأن تسمعي جوابي.

- وهل يريدون أن تعود إلى لندن؟

- يبدو لي ذلك.

- ولكنني لا أريد ذلك.

- نعم، هذا واضح. ولكن لماذا يا آنستي؟

- لأن وجودك معناه أنك غير مقتنع، أعني أنك غير مقتنع بأن دافيد هنتر هو الجاني.

- وهل تريدين أن يكون بريئاً إلى هذا الحد؟

اندفعت الدماء إلى وجنتيها ثم قالت: بطبيعة الحال لا أريد أن أرى بريئاً يُشنَق من أجل شيء لم يرتكبه.

- هذا الأمر بعيد الاحتمال، فرجال الشرطة ألقوا القبض عليه لأن المحلفين رأوا أنه مذنب، ولكن يجب أن تعلمي شيئاً، وهو أن رجال الشرطة أصبحوا غير مقتنعين بأدلة الاتهام القائمة ضده.

فقالت متشوقة: وهل يطلقون سراحه؟

وهز بوارو كتفيه، فقالت تسأله: ومن تعتقد أنه أقدم على هذا العمل يا سيد بوارو؟

فقال بوارو ببطء: لقد كانت هناك امرأة في فندق ستاغ في تلك الليلة.

فصاحت لين قائلة: لا أفهم شيئاً. فعندما كنا نظن أن الرجل هو روبرت أندرهاي كان الأمر يبدو واضحاً، ولكن لماذا اعترف الميجور بورتر بأن الرجل هو أندرهاي في أنه حين لم يكُن هو؟ ولماذا أطلق الرصاص على نفسه؟ وهكذا عدنا من حيث بدأنا.

- أنتِ ثالثةُ مَن يتفوّه بهذه العبارة.

فبدا القلق عليها وهي تقول: حقاً؟ ماذا تفعل يا سيد بوارو؟

- أتحدث إلى الناس. نعم، كل ما أفعله هو التحدث إلى الناس.

- ولكنكَ لا تسألهم عن شيء يتعلق بالجريمة.

فحرّك بوارو رأسه قائلاً: نعم، فأنا أكتفي بما ألتقطه من أقوال.

- وهل يفيدك هذا؟

- أحياناً، وقد تدهشين بمدى معرفتي لما حدث في وارمسلي فيل في الأسابيع الماضية؛ فأنا أعلم بتحركات الأشخاص ومقابلاتهم وما دار بينهم من حديث أحياناً، وعلى سبيل المثال فأنا أعرف أن آردن استخدم طريق المشاة إلى القرية ماراً بجوار فاروبانك، وأنه سأل السيد رولي كلود عن الطريق، وأنه كان يحمل حقيبة على ظهره، كما أعرف أن روزالين كلود قضت أكثر من ساعة في المزرعة مع رولي كلود وأنها كانت سعيدة هناك على غير عادتها.

- أجل، فقد أخبرني رولي بذلك وبأنها كانت تبدو كمن تقضي بعد الظهر في الخارج.

- هل قال ذلك؟ نعم، أنا أعرف أشياء كثيرة وسمعت بالكثير عن متاعب بعض الأشخاص... متاعبك ومتاعب أمك مثلاً.

- ليس في ذلك سر، فجميعناً كنا نحاول استجداء روزالين لنحصل منها على مال. هذا ما تعنيه، أليس كذلك؟

- لم أقل ذلك.

- حسناً، تلك هي الحقيقة. وأظنك قد سمعَت أشياء عني أنا ورولي ودافيد.

- ولكنك ستتزوجين رولي كلود؟

- حقاً؟ أود لو أعرف، فهذا ما كنتُ أحاول أن أقرره في ذلك اليوم عندما خرج دافيد من الغابة. لقد كان التفكير يرسم علامة استفهام في رأسي: هل أتزوجه؟ ماذا أفعل؟ وحتى القطار الذي كان يمر في السهل كان يبدو وكأنه يسأل نفس السؤال، فقد كان دخانه يرسم علامة استفهام كبيرة في السماء.

ارتسمت نظرة عجيبة على وجه بوارو لم تفهمها لين، فصاحت تقول: أترى؟ إنها مسألة صعبة يا سيد بوارو؟ فلم يكُن السؤال متعلقاً بدافيد بل بي، فقد تغيرتُ. كما تعلم لقد قضيتُ أربع سنوات بعيدة عن الوطن، وها قد عدتُ إليه فتاة أخرى تختلف تماماً عن لين التي سافرت. وتلك هي المأساة في كل مكان، فكل مَن عادوا من الحرب تغيروا وعليهم أن يرتبوا أمورهم من جديد، فلا يمكن أن يغترب الإنسان ويعيش حياة مخالفة دون أن يتغير.

- أنتِ مخطئة، فمأساة الحياة هي أن الناس لا يتغيرون.

فأخذت تحملق إليه وهي تحرك رأسها فقال بإصرار: بل هذا هو الواقع. دعيني أسألك عن سبب سفرك.

- لأنني التحقت بالخدمة العسكرية.

- أجل، أجل، ولكن لماذا التحقتِ بالخدمة؟ لقد كنت مخطوبة وكنت تحبين رولي كلود، وكان في استطاعتك أن تعملي في المزرعة هنا في وارمسلي فيل، أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك ولكنني كنت أريد...

- لقد كنت تريدين الاغتراب لتري الحياة، وربما أردت أن تذهبي بعيداً عن رولي كلود. وها أنت تشعرين بعدم الاستقرار، فما زلت تريدين الابتعاد. كلا يا آنستي، الإنسان لا يتغير.

فصاحت لين تدافع عن نفسها: ولكن عندما كنتُ في الشرق كنت أشعر بالحنين إلى العودة.

- أجل، أجل، فهذا ما يحدث دائماً؛ حيث لا يكون الإنسان فهو يريد أن يكون. وربما هذا ما حدث لك، أنت ترسمين صورة لنفسك، صورة لين مارشمونت وهي تعود لوطنها، ولكن الصورة التي رسمتِها لا تتحقق لأن لين مارشمونت التي تتصورينها ليست الحقيقة، بل كما تريدينها أن تكون.

فسألته بحزن: وعلى هذا فلن أشعر بالراحة أينما كنت؟

- لا أعني ذلك، فما أقوله هو أنك عندما سافرت لم تكوني مرتاحة إلى خطبتك وإنك -وقد عدتِ ثانية- ما زلت غير مرتاحة إلى تلك الخطبة.

قطفت لين ورقة شجر وأخذت تقضمها في تفكير ثم قالت: أنت عجيب في معرفة الأشياء يا سيد بوارو!

فقال بوارو بتواضع: هذه مهنتي. وهناك حقيقة أخرى ولا إخالك قد تبينتِها.

فقالت لين بحدة: أتعني دافيد؟ أتعتقد أنني أحب دافيد؟

فقال بوارو بحزم: هذا أمر أتركه لكِ لتقرّريه.

- وأما أنا فلا أدري، فهناك شيء في دافيد يجعلني أخافه وهناك شيء آخَر يجذبني إليه.

وبقيت صامتة برهة ثم تابعت: وقد كنتُ أتحدث بالأمس إلى قائده الذي حضر عندما بلغه نبأ القبض على دافيد ليرى ما يمكنه عمله، فظل يحدثني عن دافيد وشجاعته الفائقة وبأن دافيد كان أشجع مَن عملوا تحت قيادته، ولكن رغم كل هذا المديح فقد شعرتُ بأنه لم يكُن واثقاً تماماً من أن دافيد لم يرتكب تلك الجريمة.

- ألست واثقة أنت أيضاً؟

ابتسمت لين ابتسامة باهتة وقالت: كما ترى لم أكن أثق بدافيد لحظة واحدة، فهل يمكن أن تحب شخصاً لا تثق به؟

- قد يحدث هذا للأسف.

- لم أكن قط عادلة مع دافيد لأني لم أكن أثق به، فسمحتُ لنفسي بأن أصدق بعض ما يروج من شائعات عن أن دافيد ليس دافيد هنتر قط بل مجرّد صديق لروزالين، وكم خجلت عندما قابلتُ قائده وأخبرني أنه كان يعرف دافيد منذ كان صبياً في أيرلندا.

- عجباً كيف يمسك الناس بالعصا من الطرف الخطأ!

- ماذا تعني؟

- أعني ما أقول. أخبريني، هل اتصلَت بك السيدة كلود، أعني زوجة عمك الطبيب، هاتفياً في ليلة الجريمة؟

- العمة كاثي، نعم.

- لأيّ شيء؟

- لتتحدث إليّ عن أخطاء حسابية ارتكبتها.

- وهل اتصلَت بك من منزلها.

- لا، فقد كان هاتفها معطلاً فخرجت لتتحدث إليّ من كشك هاتف مجاور.

- أكان ذلك في العاشرة وعشر دقائق؟

- نحو ذلك.

فقال بوارو في تفكير: نحو ذلك.

ثم أضاف قائلاً: ولم تكُن تلك هي المكالمة الوحيدة التي تلقيتِها ذلك المساء؟

فقالت باقتضاب: نعم.

- لقد اتصل بكِ دافيد هنتر من لندن.

قالت محتدة: أجل، وأظنك تود أن تعرف ما الذي قاله.

- حقاً لا أجرؤ.

- حسناً، إليك ما قاله: لقد أخبرني بأنه سوف يسافر بعيداً ويختفي من حياتي وبأنه ليس أهلاً لي وأنه لا يمكن أن يصلِح حاله حتى لو كان ذلك من أجلي.

- وأظن أن قوله هذا على ما فيه من حقائق لم يروقك.

- أنا أتمنى أن يذهب بعيداً، هذا إذا كانوا سيطلقون سراحه... أتمنى أن يذهبا إلى أمريكا أو إلى أي بلد آخر،

وعندئذ فقد نتمكن من إيقاف تفكيرنا ونتعلم كيف نقف على أقدامنا ونكفّ عن تمنّي السوء.

- تمني السوء؟!

- نعم، فقد شعرت بذلك أول الأمر، في تلك الليلة في الحفلة التي أقامتها العمة كاثي بمناسبة عودتي. كان في الهواء الذي استنشقه، أجل، تمني السوء لروزالين. هل تعلم أننا كنا جميعاً نتمنى أن تموت؟ أليس مريعاً أن يتمنى الإنسان موت شخص لم يقترف جرماً في حقه؟

فاندفع بوارو يقول: بطبيعة الحال سوف يعود عليكم موتها بالفائدة.

- أتعني من الناحية المالية. لقد أضرّ بنا وجودها هنا من جميع النواحي، فالحقد والضغينة واستجداء الأموال ليست بالصفات الحسنة، وها هي الآن تقيم وحدها في فاروبانك وتبدو كالشبح، بل إن الخوف يكاد يقضي عليها، ومع ذلك فهي لا تسمح لنا بمساعدتها وقد حاولنا جميعاً دون جدوى؛ لقد عرضَت عليها أمي أن تحضر وتقيم بيننا، وعرضَت عليها العمة فرنسيس أن تقيم معها في فاروبانك، ولكنها لا تريد أن تتصل بنا، ولا ألومها على ذلك. وحتى القائد كونروي رفضت مقابلته. أظن أنها مريضة، مريضة من كثرة التفكير والخوف والبؤس، وليس في استطاعتنا أن نفعل شيئاً لأنها لا توافق.

- وهل حاولتِ أنت؟

- نعم، فقد توجهتُ إليها بالأمس فسألتها ما إذا كان هناك ما يمكنني عمله، فأخذت تحملق فيّ...

وتوقفت لين قليلاً وسرت الرعدة في جسدها ثم قالت: وأعتقد أنها تكرهني فقد قالت: «أنتِ من دونهم جميعاً»... وأعتقد أن دافيد طلب منها أن تبقى في فاروبانك، وكما تعلم فهي تطيع دافيد طاعة عمياء. وقد حمل إليها رولي بعض البيض والزبد من مزرعته، وأعتقد أنه الوحيد فينا الذي تحبه، فقد شكرته وأخبرته بأنه كان عطوفاً عليها دائماً، وفي الواقع فهو شخص عَطوف.

- هناك أشخاص يشعر الإنسان بالرثاء نحوهم، أشخاص لديهم من الحِمل ما ينوء به كاهلهم، ومن هؤلاء روزالين التي أشعر نحوها بكل رثاء وأتمنى لو أن في استطاعتي مساعدتها، وحتى الآن لو أنها تصغي إليّ...

وفجأة هب واقفاً وقال بعزم: هيا بنا يا آنستي، لنذهب إلى فاروبانك.

- وهل تريدني أن أصحبك؟

- إذا كنتِ مستعدة لأن تكوني كريمة واسعة الإدراك.

فصاحت لين: أنا كذلك.

## -١٣-

لم تمضِ خمس دقائق حتى كانت الخادمة تنظر إليهما بدهشة مقرونَة بالشك في أن تقبل السيدة كلود مقابلتهما. وأخذ بوارو ينظر حوله ويقارن ما بين هذه الحجرة وحجرة جلوس فرنسيس كلود. لقد كانت حجرة الاستقبال الأخيرة تحمل

طابعها، أما هذه الحجرة فكان كل ما فيها يدل على الثراء ولكنها لم تكُن تحمل طابع سيدة البيت. يبدو أن روزالين كانت تعيش في البيت كشخص غريب.

وقطع عليه تفكيرَه صوتُ لين تسأله عن سبب اكتئابه، فقال: هناك من يدفعون حياتهم ثمناً للخطايا يا آنستي، وهناك من يكون ثمن خطاياهم هو الإثراء، ولكن هل من الممكن تحمّل هذا الثمن؟ هل يطيق الإنسان أن يُحال بينه وبين ما اعتاده من حياة وألاّ يتمكن من إلقاء ولو نظرة خاطفة عليه بعد أن أُغلق عليه طريق العودة؟

ثم قُطع حديثه؛ فقد اندفعت الخادمة وقد فقدت سيطرتها على أعصابها محاولة إخراج الكلمات التي احتبست في حلقها: آنسة مارشمونت. آه، يا سيدي. سيدتي في حالة سيئة، إنها لا تتكلم ولم أستطع إيقاظها ويدها باردة كالثلج.

فاندفع بوارو خارجاً من الحجرة ولين والخادمة في أعقابه، وصعدوا الدرَج إلى الطابق الأول حيث أشارت الخادمة إلى باب مفتوح في مواجهة الدرج، ووجد بوارو نفسه في حجرة نوم كبيرة جميلة وأشعة الشمس تتدفق خلال النوافذ المفتوحة لتسقط على السجاد الثمين، وفوق فراش وثير رقدت روزالين وكأنها تغط في النوم وفي إحدى يديها منديل. كانت تبدو كطفلة حزينة نامت وهي تبكي.

ورفع بوارو يدها يتحسس نبضها، وكانت يدها باردة كالثلج فقال بهدوء موجهاً حديثه إلى لين: لقد مضى على موتها بعض الوقت، فقد ماتت في أثناء نومها.

فصاحت الخادمة باكية: وماذا نفعل الآن يا سيدي؟

- مَن كان طبيبها؟

فقالت لين: عمي ليونيل.

فقال بوارو للخادمة: اذهبي واستدعي الدكتور ليونيل هاتفياً.

خرجت الفتاة من الحجرة وهي لا تزال تبكي، وأخذ بوارو يتنقل في أرجاء الحجرة فوجد بجوار الفراش علبة صغيرة كُتب عليها: «حبة واحدة قبل النوم»، فأخرج منديله واستعان به على فتح العلبة فلم يجد فيها غير ثلاث حبات. ثم اتجه إلى طاولة الكتابة، وهناك وجد قطعة من الورق كُتب عليها بخط أشبه بخطوط الأطفال: لا أدري ماذا أفعل، لا أستطيع أن أستمر. لقد كنتُ سيئة ويجب أن أخبر أحداً لأستريح. لم أقصد أن أكون سيئة هكذا ولم أكن أدري ماذا يحدث. يجب أن أعترف...

ووجد بوارو القلم حيث انتهت الكتابة، فوقف يتأمل الكلمات في حين وقفَت لين تنظر إلى الفتاة المسجاة على الفراش، وفي تلك اللحظة فُتح الباب بعنف واندفع دافيد هنتر داخلاً إلى الحجرة. فاندفعت لين تقول: دافيد، هل أطلقوا سراحك؟ أنا سعيدة.

فأزاحها دافيد جانباً بشيء من القسوة دون أن يعبأ لما تقول، ثم انحنى فوق الجثة الهامدة وهو يقول: روزالين.

وتحسس يدها ثم استدار ليواجه لين وشرر الغضب يتطاير من عينيه وقال بتمهل: إذن فقد قتلتموها؟ لقد تخلصتم منّي

بتهمة ملفقة ثم تعاونتم جميعاً لتزيحوها من طريقكم. أجل، كلكم... أو واحد منكم. ولا يهمني من يكون، فقد قتلتموها! لقد كنتم تجرون وراء المال وها قد حصلتم عليه، فقد أكسبكم موتها إياه! أيتها القتلة. لم تستطيعوا أن تمسوها بسوء عندما كنتُ بجوارها لأنني كنتُ أعرف كيف أحمي أختي، ولكنها لم تكُن تعرف كيف تحمي نفسها، وعندما أصبحت وحيدة رأيتم الفرصة مواتية فانتهزتموها.

وتوقف ثم ترنح قليلاً وقال بصوت مرتعش: أيها القتلة!

فصاحت لين قائلة: لا يا دافيد، أنت مخطئ؛ لم يقتلها أحد منا ولا يمكن أن نُقدِم على شيء كهذا.

- لقد قتلها أحدكم يا لين، وأنت تعرفين ذلك كما أعرفه.

- أقسم لك يا دافيد أنه لم يكُن...

عندئذ تحرك هيركيول بوارو إلى الأمام بضع خطوات وتنحنح فاستدار دافيد ليواجهه، فقال بوارو: أعتقد أن افتراضاتك مبالَغ فيها، فما الذي يجعلك تعتقد أن أختك قُتلت؟

- أتقول إنها لم تُقتل؟ هل تسمي هذا...

وأشار بإصبعه إلى الجثة المسجاة على الفراش وأضاف: ميتة طبيعية؟ لقد كانت روزالين تشكو أعصابها، هذا صحيح، ولكنها لم تكن تشكو شيئاً آخر وكان قلبها سليماً.

- في الليلة الماضية قبل أن تأوي إلى فراشها جلست هنا تكتب.

فسار دافيد وانحنى فوق الورقة، فقال بوارو محذّراً: لا تمسها.

جذب دافيد يده وأخذ يقرأ الكلمات وهو متسمّر في مكانه، ثم أدار رأسه لينظر إلى بوارو متفحصاً وقال: هل تعتقد أنها انتحرت؟ ولكن لماذا تُقدِم روزالين على الانتحار؟

ولم يكُن صوت بوارو الذي أجاب على سؤاله بل صوت المفتش سبنس الهادئ الذي ظهر فجأة بباب الحجرة: ماذا لو افترضنا أن السيدة كلود لم تكُن في لندن مساء الثلاثاء الماضي وأنها كانت في وارمسلي فيل؟ وماذا لو افترضنا أنها ذهبت لمقابلة الرجل الذي كان يريد ابتزاز أموالها بالتهديد؟ وأخيراً ماذا لو افترضنا أنها قتلته في نوبة غضب؟

فدار دافيد على عقبيه ليواجهه وقد بدا الغضب في نظراته قائلاً: لقد كانت أختي في لندن مساء الثلاثاء، وقد كانت هناك في الشقة في الحادية عشرة عندما عدت.

- أجل، تلك هي روايتك يا سيد هنتر وأعتقد أنك ستتمسك بها، ولكنني لستُ مقيداً بتصديق تلك الرواية، وعلى أية حال فقد فات الأوان.

وأشار إلى الفراش ثم أضاف: فلن تُقدَّم القضية إلى المحكمة الآن.

## -١٤-

قال سبنس وهو يجلس في حجرته في مقر الشرطة وينظر إلى بوارو: إنه لا يريد أن يعترف بذلك، ولكنني أعتقد بأنه يعرف أنها الجانية. وقد كان من الغريب أننا وجهنا كل اهتمامنا لتحري حركاته وسكناته ولكننا لم نفكر لحظة واحدة فيها هي. على أي حال فليس هناك ما يؤيد وجودها في شقتها بلندن في تلك الليلة غير شهادته، وقد كنا نعرف منذ بداية الأمر أن اثنين فقط كان لديهما الدافع لقتل آردن وهما دافيد هنتر وروزالين، وقد وجهت كل اهتمامي إليه في حين مررت بها مر الكرام.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد: وفي الواقع أنها كانت تبدو وديعة وربما على شيء من الغباء، ولكنني أعتقد أن هذا يفسر الأمر بعض الشيء، فمن المحتمل أن دافيد هنتر أرسلها إلى لندن لأنه كان يخشى أن تفقد سيطرتها على أعصابها، ولا بد أنه كان يعرف أنها من ذلك النوع الذي يصبح خطيراً إذا فقد سيطرته على أعصابه. وهناك شيء آخر وهو أنني كثيراً ما رأيتها وهي ترتدي ثوباً برتقالي اللون وأعتقد أنه لونها المفضل، ومع ذلك فعندما وصفت السيدة العجوز المرأة الشابة التي رأتها وذكرت أنها كانت تلف وشاحاً برتقالياً حول رأسها لم يخامرني الشك لحظة واحدة في أن تكون تلك المرأة هي روزالين، وأعتقد أنكَ عندما رأيتها في الكنيسة في حالة يُرثى لها كان الندم والشعور بالجريمة يعذبانها.

- لقد كانت تشعر بالجرم فعلاً.

فقال سبنس بشيء من التفكير: لا بد أنها هاجمت آردن

وهي في حالة غيظ، ولا أظنه توقع شيئاً مما وقع له فلا يمكن أن يكون على حذر من فتاة كهذه. وبقي صامتاً برهة ثم قال: ولكن ما يحيرني هو: من الذي أغرى بورتر! أنت تقول إنها ليست السيدة جيريمي ولكنني أعتقد أنها هي.

- لا، لم تكُن السيدة جيريمي فقد أكّدت لي ذلك وأنا أثق بها. كم كنتُ غبياً؛ لقد كان يجب أن أعرف، فقد أخبرني الميجور بورتر بنفسه.

- هو أخبرك؟!

- بطريقة غير مباشرة طبعاً ودون أن يشعر هو بذلك.

- حسناً، ومن يكون؟

- هل تسمح لي بتوجيه سؤالين لك أولاً؟

بدت الدهشة على وجه المفتش وقال: سَلْ ما شئت.

- أولاً أريد أن أعرف ما هو ذلك الدواء الذي كان في العلبة بجوار فراش روزالين؟

ازدادت دهشة المفتش وقال: ذلك الدواء؟ إنه غير ضار، مركّب من مسحوق البروميد لإراحة الأعصاب، وكانت تتعاطى حبة كل ليلة، وقد قمنا بتحليلها بطبيعة الحال فلم نجد بها شيئاً.

- ومَن وصف لها ذلك الدواء؟

- الدكتور كلود.

- متى؟

- منذ مدة.

- وبأيّ نوع من السموم ماتت؟

- حسناً، لم يصلنا التقرير الطبي بعد ولكن ليس من شك في أن الوفاة حدثت نتيجة كمية كبيرة من المورفين.

- وهل وُجد شيء من المورفين في حوزتها؟

فنظر سبنس إلى بوارو بدهشة وقال: لا، ولكن إلى أيّ شيء تهدف يا سيد بوارو؟

فقال بوارو متحاشياً الإجابة: سأنتقل الآن إلى السؤال التالي. لقد اتصل دافيد هنتر هاتفياً من لندن بلين مارشمونت في الحادية عشرة وخمس دقائق من مساء الثلاثاء، وقد قمتم بتحري الأمر فعلمتم أن تلك هي المكالمة الوحيدة التي خرجَت من شقة السيدة جوردون في شبردركورت، ولكن هل حدث اتصال هاتفي من الخارج بالشقة؟

- نعم، مكالمة واحدة في العاشرة والربع من كشك عمومي في وارمسلي فيل.

- هكذا.

وبقي بوارو بضع دقائق صامتاً فسأله سبنس بدهشة: ماذا يدور بخلدك يا سيد بوارو؟

- ولكن هل حدث اتصال فعلي؟ أعني هل تلقى عامل الهاتف ردّاً من لندن؟

فقال سبنس ببطء: لقد فهمتُ قصدك، فلا بد أن أحداً

كان بالشقة، وما دام هذا الشخص لا يمكن أن يكون دافيد هنتر الذي كان يستقل القطار عائداً إلى لندن فلا بد أن روزالين كانت في الشقة، وهذا ينفي احتمال وجودها منذ بضع دقائق في فندق ستاغ، ومن هذا تستخلص أن المرأة ذات الوشاح البرتقالي لم تكُن روزالين، وما دام الأمر كذلك فليست روزالين هي التي قتلَت آردن. أليس هذا ما ترمي إليه؟ حسناً، إذن لماذا أقدمَت على الانتحار؟

- الجواب على ذلك سهل. إنها لم تنتحر بل قُتلت.

- ماذا؟!

- نعم، لقد قُتلت وعن قصد كذلك.

- ومن الذي قتل آردن؟ لقد استبعدنا دافيد.

- لم يكُن دافيد.

- وتريد الآن أن تستبعد روزالين؟ فمن يتبقى بعد ذلك، بعد استبعاد الشخصين الوحيدين اللذين كان لديهما دوافع القتل؟

- نعم، الدافع هو الذي قادنا بعيداً عن المجرم الحقيقي، فلو افترضنا أن «أ» لديه دافع لقتل «ب» وأن «ج» لديه دافع لقتل «د» فليس من المعقول أن «أ» يقتل «د» و«ج» يقتل «ب»، أليس كذلك؟

فتأوه سبنس قائلاً: مهلاً يا سيد بوارو... فلا أفهم شيئاً مما تقول!

- إنها معقدة، أجل معقدة جداً لأن لدينا هنا نوعين مختلفَين من الجرائم، فلا بد من وجود مجرمَين مختلفين كذلك، وكان من جرّاء الجريمتين أن مات ثلاثة أشخاص: اثنان قُتلا والثالث انتحر، أليس كذلك؟

- حسناً، أنت تعرف وجهة نظري يا سيد بوارو، جريمة قتل واحدة وانتحاران. ولكن على حسب قولك يكون هناك جريمتا قتل وانتحار واحد.

- بل هناك انتحار واحد وحادث عرَضي واحد وجريمة قتل واحدة.

- حادث عرَضي؟ أتريد أن تقول إن السيدة كلود تناولت السم عرضاً، أم تعني أن الميجور بورتر أطلق الرصاص على نفسه بطريق الخطأ؟

- لا، مقتل تشارلس ترنتون... أو على الأصح أينوك آردن هو الحادث العرضي.

فصاح المفتش قائلاً: حادث عرَضي؟ تلك الجريمة الوحشية حادث عرضي؟!

أجاب بوارو بهدوء غير عابئ بصيحات المفتش: عندما أقول إنها حادث عرَضي فأنا أعني أنه لم تكُن هناك نية مبيَّتة للقتل.

- لم تكُن هناك نية مبيَّتة للقتل؟! أتريد أن تقول إن معتوهاً اعتدى عليه؟

- هذا أقرب للحقيقة، ولكن ليس بالشكل الذي تتخيله.

- إذا صح قولك فليس أمامنا غير السيدة جوردون فهي المرأة الوحيدة التي يمكن أن ترتكب شيئاً كهذا، فقد لاحظتُ عليها بعض النظرات الغريبة. حقاً إن السيدة ليونيل كلود ذات طابع شرس ولكنني لا أعتقد أن شراستها تصل إلى حد استعمال العنف، أما السيدة جيريمي فهي أكثرهن اتزاناً. وبمناسبة ذلك لقد أخبرتَني أنها ليست السيدة جيريمي التي رشت بورتر، فمن إذن الذي رشاه؟ كما قلتَ لي إن بورتر نفسه أطلعك على هذا الأمر دون وعي بإشارة واحدة ولكنك لم تهتم بها في حينها.

ثم أضاف سبنس متهكماً: ثم كان أن قتلَ ذلك المعتوه المجهول الاسم روزالين؟

فحرك بوارو رأسه بشدة قائلاً: لا، فكما قلتُ لك إن المجرم في الحالتين مختلف، فالمجرم في حالة روزالين كان متمالكاً قواه وقد ارتكب جريمته عن قصد، ولن يهدأ لي بال حتى أتمكن من القبض عليه وتقديمه للمحاكمة ليُشنَق على ما جنت يداه.

قال ذلك وهبّ واقفاً واتجه إلى الباب، فصاح سبنس يناديه ثم قال: يجب أن تُفصح لي عن بعض الأسماء، فلا يمكن ترك الأمر عند هذا الحد.

- سوف أفعل ذلك بعد قليل، ولكنني أنتظر شيئاً أولاً، أنتظر خطاباً.

- لا تتحدث كقارئ الطالع يا بوارو.

ولكن بوارو كان قد غادر الحجرة، وما إن غادر بوارو مقر الشرطة حتى عبر الميدان وضغط جرس منزل الدكتور كلود،

ففتحت السيدة كلود الباب. وما إن رأت بوارو حتى شهقت كما هو الحال معها عندما كانت تراه، ولم يضيع بوارو الوقت فقال: أريد أن أتحدث إليكِ يا سيدتي.

- بالتأكيد، تفضل بالدخول.

- أريد أن أسألك شيئاً: منذ متى تعوّد زوجك الإدمان على المورفين؟

فانفجرت العمة كاثي باكية في الحال وهي تقول: يا إلهي! ما كنت أودّ أن يعرف أحد. لقد بدأ ذلك خلال الحرب حين أخذ يعمل طَوال اليوم دون انقطاع فأصيب بإجهاد في الأعصاب، ولكنه كان يحاول أن يقلل من الكمية التي يتعاطاها دائماً، وهذا ما كان يجعله هائجاً في بعض الأحيان.

- وهل هذا هو أحد الأسباب التي من أجلها كان في حاجة إلى المال؟

- أعتقد ذلك، ولكنه وعدني بأن يبدأ في علاج نفسه.

- هدّئي من روعك يا سيدتي وأجيبي عن السؤال الآخر. في الليلة التي اتصلتِ فيها بلين مارشمونت هاتفياً من كشك الهاتف خارج مكتب البريد، هل التقيت بأحد في الميدان في تلك الليلة؟

- لا يا سيد بوارو، لم ألتق بأحد على الإطلاق.

- ولكنني أفهم أنك اضطررت لاقتراض قطعة من فئة البنسين لأنه لم تكُن لديك غير قطع من فئة النصف بنس.

- أجل، هذا صحيح، وقد سألتُ امرأة كانت تخرج من الكشك نفسه فأعطتني البنسَين في مقابل نصف بنس.

- وكيف كانت تبدو تلك المرأة؟

- حسناً، إن منظرها كان أقرب إلى الممثلات إن كنت تفهم ما أعني، وكانت تلف رأسها بوشاح برتقالي اللون. ولكن الغريب في الأمر أني واثقة تمام الثقة من أنني قابلتها من قبل، فقد كان وجهها مألوفاً، وقد تكون إحدى صديقاتي ممن انتقلن إلى العالَم الآخَر ولكنني لست واثقة.

- شكراً لكِ يا سيدة كلود.

## -١٥-

كانت الشمس على وشك المغيب عندما خرجَت لين من منزلها وقد اعتزمت أمراً، فقد كانت تنوي الذهاب إلى مزرعة لوج ويللوز لتخبر رولي. أجل، يجب أن تخبره بنفسها فذلك أفضل من أن تكتب إليه رسالة.

ونظرت حولها تودع بيتها والحياة التي كانت تعيش فيها، فالعيش مع دافيد معناه الغربة. حقاً ستكون الحياة مع دافيد مغامرة، مغامرة قد تفلح وقد تقود إلى الخسران، وقد حذرها هو بنفسه عندما اتصل بها هاتفياً ليلة الجريمة، ولكنه عاد يقول لها منذ بضع ساعات: كنتُ أنوي أن أخرج من حياتك ولكني كنتُ أحمق عندما خطر ببالي أن في استطاعتي أن أخلفكِ ورائي، سوف نذهب إلى لندن ونتزوج بعقد مدني. لن أدعك لتغيّري

رأيك، فأنت مرتبطة بهذا المكان برباط قوي ويجب أن أنتزعك من هذا الرباط، وسوف نخبر رولي بعد أن تصبحي السيدة دافيد هنتر، فهذه أفضل طريقة لإخباره.

لم توافق لين على ذلك ولكنها لم تُشعر دافيد، وقررت أن تخبر رولي بنفسها. وعندما طرقت لين باب لونج ويللوز كانت هناك عاصفة على وشك الهبوب. وفتح رولي الباب، وما إن رآها حتى بدت الدهشة عليه قائلاً: مرحباً بك يا لين. لماذا لم تتصلي بي هاتفياً وتخبريني بحضورك فربما كنت خارجاً؟

- أريد أن أتحدث إليك يا رولي.

وقف رولي جانباً ليدعها تمر وتبعها إلى المطبخ الفسيح حيث كانت بقايا الطعام تغطي المائدة، وبدأ رولي يحدثها عن التعديلات التي يريد إدخالها على المطبخ حفظاً لراحتها، ولكنها قاطعته قائلة: لا تفكر في تلك المشروعات يا رولي.

- أتعنين لأن الفتاة المسكينة لم تُدفَن بعد؟ إنها مسكينة حقاً ولكنها لم تكُن تبدو سعيدة قط، فأنا أعتقد أن تلك الغارات قد أثّرت في أعصابها. وعلى كلٍّ فقد ماتت ولن يحدث أي جديد... هذا بالنسبة لي، أو على الأصح بالنسبة لكلينا.

فحبست لين أنفاسها ثم قالت: لا يا رولي، لا تتحدث عن كلينا فلم يعد هناك شيء كهذا، وهذا ما حضرت لأتحدث إليك عنه.

وأخذ يحملق إليها فقالت بهدوء: سوف أتزوج دافيد هنتر يا رولي.

ولم تدرِ ماذا تتوقع؛ أهو اعتراض أم نوبة من الغضب؟ ولكنها لم تتوقع أن يتلقى رولي الأمر كما فعل، فقد أخذ يحملق إليها برهة ثم عبر إلى الموقد وأخذ يعبث به برهة، وأخيراً استدار ليواجهها قائلاً: حسناً، وهل لي أن أسألك لماذا تتزوجين دافيد هنتر؟

- لأنني أحبه.

- بل تحبينني.

- لا، لقد كنتُ أحبك قبل أن أسافر، وقد مضت أربع سنوات وقد تغيرت فيها، بل كلانا تغير.

فقال بهدوء: أنتِ مخطئة، فأنا لم أتغير.

- ربما لم تتغير أنت كثيراً.

- أنا لم أتغير مطلقاً، فلم تكُن هناك فرصة للتغير. لقد أمضيتُ تلك السنوات أكدح هنا فلم أهبط بمظلة من طائرة أو أصعد التلال أو ألف ذراعي حول رجل في الظلام وأطعنه.

- رولي...

- أنا لم أشترك في الحرب ولم أقاتل ولا أدري عن الحرب شيئاً. لقد عشت حياة آمنة هنا في المزرعة. يا لرولي سعيد الحظ! أما كزوج فأنتِ تخجلين أن تكوني زوجتي.

- لا يا رولي، ليس الأمر كذلك.

- بل هو كذلك.

وأخذ يقترب منها وقد بدأت الدماء تندفع إلى رأسه وقد

نفرت عروق جبهته... ثم قال: اصمتي يا لين وأصغي إليّ مرة واحدة. لقد خسرتُ كل شيء، خسرت فرصة القتال من أجل وطني، وقد رأيتُ أعزّ صديق لي يذهب ليموت ورأيت فتاتي... أجل، فتاتي، ترتدي الزي العسكري وتسافر بعيداً. لقد كانت حياتي جحيماً، ألا تفهمين يا لين؟ لقد كانت جحيماً. ثم عدت لتزيدي نار الجحيم استعاراً، منذ تلك الليلة عند العمة كاثي عندما رأيتُك تتحدثين إلى دافيد هنتر... ولكنه لن ينالك. أتسمعين؟ لن تكوني لأحد غيري. ماذا تظنين أنني...؟

- رولي!

قامت من مكانها وأخذت تتراجع إلى الخلف وقد تملكها الرعب، فلم يعد الرجل إنساناً بل حيواناً شرساً، وقال: لقد قتلتُ شخصين، فهل تظنين أنني أتورع عن قتل ثالث؟

- رولي!

أمسك بها ولف يديه حول عنقها وهو يقول: لا أستطيع أن أحتمل أكثر من ذلك يا لين.

شدّت يداه حول عنقها وأخذت الحجرة تدور حولها وشعرت بالدنيا تظلم في عينيها وأحست بالاختناق... وفجأة سمع رولي صوت شخص يسعل. كان سعالاً مصطنعاً، فتوقف رولي وتراخت قبضته وسقطت ذراعاه بجواره وهوت لين إلى الأرض. وفي داخل المطبخ وقف هيركيول بوارو وهو يسعل باعتذار ثم قال: أرجو ألاّ يكون في دخولي هكذا ما يضايقك، فقد طرقتُ الباب ولكنني لم أتلقَّ جواباً، وأظنك كنت مشغولاً، أليس كذلك؟

مرّت لحظات من التوتر، وأخذ رولي يحملق إلى بوارو كمن هو على وشك أن يلقي بنفسه عليه، ولكن هذا التوتر أخذ يزول تدريجياً. وأخيراً قال بصوت خافت: لقد وصلتَ في الوقت المناسب.

-١٦-

قال بوارو وهو يحاول جهده أن يزيل جو التوتر الذي كان يحيط به: هل الغلاية على النار؟

فقال رولي بتثاقل وغباء: نعم، هي على النار.

- أرى أن تصنع قدحاً من القهوة، أم أن الشاي أفضل؟

أطاعه رولي دون أدنى معارضة، في حين أخرج هيركيول بوارو منديلاً كبيراً نظيفاً من جيبه وبلله بالماء البارد ثم عصره وحمله إلى لين قائلاً: إليكِ هذا يا آنستي، اربطيه حول عنقك هكذا وسوف تخف حدة الألم.

شكرته لين بصوت متحشرج، وبدا المطبخ في عينيها وبوارو يتنقل في أرجائه كحلم مفزع، وكانت تشعر بإعياء شديد وبآلام في عنقها، وساعدها بوارو على الوقوف على قدميها ثم قادها إلى مقعد أجلسها فوقه برفق، ثم استدار يسأل رولي: هل أعددتَ القهوة؟

- نعم.

وحملها رولي إليه، فصب بوارو قدحاً حمله إلى لين في

حين أخذ رولي يقول: أصغ إليّ يا سيد بوارو، لا أظنّك تفهم ما حدث. لقد حاولتُ أن أخنق لين. لقد قتلتُ شخصين وكنت أوشكِ على ارتكاب جريمة ثالثة لولا وصولك.

فقال بوارو: دعنا نشرب قهوتنا ولا نتحدث عن الموتى، فهو أمر يضايق الآنسة لين.

وقال رولي وهو يحملق إلى بوارو: يا إلهي!

وأخذت لين تحتسي قهوتها بصعوبة فقد كانت ساخنة قوية، وما إن انتهت حتى شعرت بحدة آلامها تخف، فقال بوارو يسألها: هل تشعرين بتحسن؟

فأومأت برأسها إيجاباً، فقال: والآن، يمكننا أن نتكلم، وعندما أقول ذلك فأنا أعني أنني أنا الذي سأتكلم.

فسأله رولي بتثاقل: هل تعرف الكثير؟ هل تعرف أنني قتلت تشارلس ترنتون؟

- نعم، لقد عرفتُ ذلك منذ مدة.

وفي تلك اللحظة فتح الباب بشدة واندفع دافيد هنتر داخلاً وهو يقول: لين، أنتِ لم تخبريني...

ثم توقف وأخذ ينقل النظر بينهم بدهشة وقال: ماذا أصاب عنقك؟

فقال بوارو لرولي: ناولني قدحاً آخَر.

قام رولي وأحضر قدحاً آخَر فصبّ بوارو فيه القهوة وقدمه لدافيد قائلاً: هيا اجلس، سنجلس هنا ونشرب القهوة،

وسوف ينصت ثلاثتكم للمحاضرة التي يلقيها هيركيول بوارو عن الجريمة.

ثم أدار رأسه ينظر إليهم وقال: ما هو الدافع لارتكاب الجريمة؟ وهل كل إنسان قادر على ارتكاب جريمة، أعني أية جريمة؟ تلك هي الأسئلة التي وجهتُها إلى نفسي منذ البداية. ثم سألت نفسي: ماذا يحدث لمن يعيش في حماية شخص آخَر؟ لا شك أن يشعر بقسوة الزمان وتقلباته إذا فقد تلك الحماية فجأة. أنا كما ترون أتحدث عن عائلة كلود، ها هي عائلة حُرم أفرادها من أن يقفوا على أقدامهم، فبرغم أن كل فرد من أفراد العائلة كانت له حياته الخاصة ومهنته لكنهم كانوا يشعرون بالحماية دائماً، فقد كانوا آمنين من الخوف مطمئنين إلى مستقبلهم طالما بقي جوردون كلود بجوارهم يعضدهم.

ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستطرد: ما أريد أن أقوله أن الكثيرين منا يُضطرون إلى مواجهة الحياة بأعبائها ومخاطرها في سن مبكرة، فعليهم أن يتعلموا كيف يقفون في وجه تلك الأخطار، وقد ينجح البعض فيسيرون في الطريق القويم في حين يفشل البعض الآخَر فيسلكون الطريق الملتوي. أما في حالة عائلة كلود فلم يجد أحد منهم الفرصة ليعرف مكامن الضعف في نفسه إلا حينما رُفعت عنهم الحماية ووجدوا أنفسهم فجأة مضطرين لمواجهة الحياة. ولم يكُن يحول بينهم وبين استمرار حياة الاطمئنان غير روزالين، وأنا واثق أنه ما من فرد من أفراد عائلة كلود إلا وتمنى في نفسه لو أن روزالين تموت.

سرت الرعدة في جسم لين في حين تابع بوارو بعد قليل: لقد كانت فكرة موتها تمر برؤوسهم جميعاً، أنا واثق من ذلك.

ولكن هل مرت كذلك برؤوسهم فكرة القتل؟ وهل انتقلت فكرة القتل من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ في لحظة من اللحظات؟

ودون أن يغير لهجته أدار رأسه لينظر إلى رولي قائلاً: هل فكرتَ في قتلها؟

- نعم، وكان ذلك في اليوم الذي حضرَت فيه إلى مزرعتي، فلم يكُن هناك أحد غيرها ومر بخاطري أن في إمكاني قتلها بسهولة، وقد مر ذلك بخاطري وأنا أتناول الولاعة من يدها لأشعل لها سيجارتها.

- وأظن أنها تركَتها، وهكذا أصبحَت في حيازتك.

فأومأ رولي برأسه موافقاً ثم قال متعجباً: لا أدري ما الذي منعني من قتلها وقد مرت بخاطري فكرة قتلها!

فردّ بوارو: الجواب على ذلك بسيط وهو أن الجريمة لم تكُن من النوع الذي يوافقك، فما قتلتَ ذلك الرجل إلا وأنت في شدة الغضب، كما أنك لم تكُن تنوي قتله على ما أظن.

- يا إلهي! كلاّ، لقد هويت بقبضتي على فكه فتراجع إلى الخلف ووقع واصطدم رأسه بحافة قاعة المدفأة، ولم أصدق عندما وجدتُه قد مات.

وفجأة نظر إلى بوارو بقلق قائلاً: وكيف عرفتَ ذلك؟

- أظن أنني قد تمكنتُ من تصور أفعالك بدقة، وأرجو أن تخبرني إذا أخطأت. لقد ذهبتَ إلى فندق ستاغ فأخبرَتك بياتريس ليبينكوت بما سمعَته من حديث، فذهبتَ كما ذكرت إلى عمك جيريمي كلود لتستطلع رأيه كمحام في الموضوع، ولكن شيئاً

حدث جعلك تغيّر رأيك فيما يتعلق باستشارته، وأظن أنني أعرف ذلك الشيء، فقد شاهدت صورة.

فأومأ برأسه موافقاً وقال: أجل، لقد كانت على المكتب. وفجأة تبينتُ الشبه الكبير بين الصورة والرجل، وخُيل إليّ أن جيريمي وفرنسيس قد أرسلا في استدعاء أحد أقاربها ليتحايل ثلاثتهم على ابتزاز المال من روزالين، فشعرت بالخطر وعدت في الحال إلى فندق ستاغ ثم إلى الحجرة رقم ٥، واتهمتُ الرجل بأنه شخص زائف فضحك واعترف لي بذلك وقال إن دافيد هنتر سيحضر في تلك الليلة ليدفع له ما طلبه منه، فانفجر غضبي فقد شعرت بأن عائلتي كانت تخونني ووصفته بأحقر الصفات ثم ضربته بقبضتي، فوقع على الأرض كما ذكرت.

وخيم الصمت ثم قال بوارو: وبعد ذلك؟

فأجاب رولي ببطء: كانت الولاعة هي التي غيرت كل شيء. فقد وقعَت من جيبي، إذ كنت أحملها لأجل إعادتها إلى روزالين حين أشاهدها، ولكن عندما وقعَت فوق الجثة رأيت الحرفين «د. هـ». إذن فقد كانت ولاّعة دافيد لا ولاّعتها؟ وكنت منذ الحفلة التي أقامتها العمة كاثي قد تبينتُ... حسناً، لا داعي لهذا. لقد كنتُ أحياناً أشعر وكأنني على وشك أن أفقد صوابي، فقد فقدتُ صديقي جوني، ثم تلك الحرب، وأخيراً لين وهذا الشخص... فجذبتُ الجثة إلى وسط الحجرة وقلبته على وجهه ثم رفعتُ تلك الآلة التي كانت في المدفأة... حسناً، لا داعي لذكر التفصيلات، ثم أزلت بصمات أصابعي وقمت بتنظيف جزء الحافة التي سقط عليها، ثم أدرت عقربَي الساعة على التاسعة وعشر دقائق وحطمتها وأخذت بطاقتة وأوراقه لكي لا يمكن

الاستدلال على شخصيته، ثم غادرت المكان وأنا واثق بعدما سمعَته بياتريس من أن التهمة ستوجه إلى دافيد.

فقال دافيد: شكراً لك.

قال بوارو: ثم حضرتَ إليّ ومثّلتَ أمامي فصلاً كوميدياً وطلبتَ منّي أن أبحث عن شاهد يعرف أندرهاي، وكنت واثقاً من أن جيريمي كلود قد أعاد القصة التي سمعها من الميجور بورتر على أسماع بقية العائلة فكانوا جميعاً يتمنون بينهم وبين أنفسهم أن يظهر أندرهاي. حسناً، وقمت أنا بالبحث، وفي حجرة الميجور بورتر قدّم لي سيجارة في حين قال لك: "أنت لا تدخن"، فكيف عرف أنك لا تدخن؟ المفروض أنكما لم تلتقيا من قبل، وكان يجب أن أفهم مغزى ذلك وأنك كنت تعرف الميجور بورتر من قبل، ولا عجب فقد كان في حالة اضطراب ذلك الصباح. أجل، لقد كنتُ مغفلاً.

ونظر حوله بغضب ثم تابع: ولكن الميجور بورتر شعر بحرج موقفه، فقد كان عليه أن يمثل أمام القضاء ويحلف اليمين، وليس هذا فقط فإن نتيجة الاتهام ضد دافيد هنتر كانت تتوقف على شخصية القتيل، وهكذا بدأ الميجور بورتر يراجع نفسه.

فقال رولي بتثاقل: وقد كتب إليّ يقول أنه لا يستطيع الاستمرار. ويا له من أحمق! فكيف لنا أن نتراجع بعد ما اتخذناه من خطوات، فذهبتُ إليه لأحاول أن أقنعه ولكنني ذهبت متأخراً، فقد وجدته قد فارق الحياة. ولا أستطيع أن أصور لك شعوري في تلك اللحظة، فقد شعرت وكأنني أنا الذي قتلتُه.

آه، لو انه انتظر، لو أنه تركني أتحدث إليه!

سأله بوارو: وقد ترك رسالة فأخذتَها، أليس كذلك؟

- بلى، وقد كانت موجهة إلى القاضي وكان يقول فيها إنه أدلى بأقوال كاذبة زائفة في التحقيق وإن القتيل لم يكُن روبرت أندرهاي، وقد أخذتُ الرسالة وأحرقتها.

ثم ضرب رولي المائدة بقبضته قائلاً: لقد كان كحلم مريع، وقد بدأته فكان عليّ أن أتمه، فقد كنت في حاجة إلى المال لأحصل على لين، وكنت أريد أن يُشنق هنتر. ولكن فجأة سقط الاتهام ضده لوجود امرأة مع آردن في ساعة متأخرة من ذلك المساء، ولا أفهم أية امرأة، فكيف يتسنى لامرأة أن تكون هناك تتحدث إلى آردن بعد أن مات؟!

فقال بوارو: لم تكُن هناك امرأة.

فقالت لين: ولكن تلك المرأة العجوز رأتها وسمعتها.

قال بوارو: ماذا رأت وماذا سمعَت؟ لقد رأت شخصاً كسيدة يرتدي سروالاً ومعطفاً ورأت رأسها قد لُفّ في وشاح برتقالي اللون ووجهها مغطى بالمساحيق والأصباغ. لقد رأت تلك المرأة تتراجع إلى الحجرة رقم ٥ وسمعَت صوت رجل يقول: "هيا اخرجي من هنا"... حسناً، ما رأته هو رجل وما سمعَته هو صوت رجل، ولكنها كانت فكرة رائعة يا سيد هنتر.

قال بوارو ذلك وهو ينظر إلى دافيد الذي قال بحدة: ماذا تعني؟

- الآن سأقص عليك أنت قصة. لقد وصلتَ إلى فندق ستاغ في التاسعة تقريباً، لا بنيّة القتل بل بنية الدفع. فماذا وجدت؟ وجدتَ الرجل الذي أراد أن يبتز أموالك ملقىً على الأرض جثة هامدة، فأخذتَ تفكر سريعاً يا سيد هنتر فتبينت أنك في خطر، وكان أن جال في خاطرك ما دام أن أحداً لم يرَك وأنت تدخل الفندق أن تسرع لمغادرته وتلحق بقطار التاسعة والثلث العائد إلى لندن لتقسم أنك لم تذهب إلى وارمسلي فيل. وبينما أنت تعدو لتلحق بالقطار التقيت فجأة بالآنسة مارشمونت، وفي تلك اللحظة تبينت أنه من المحال أن تلحق بالقطار، ولا بد أنك رأيت دخانه في الوادي وقد رأته هي الأخرى دون أن تشعر بذلك، وعندما أخبرتَها بأن الساعة التاسعة والربع لم تعترض على ذلك.

وقد عدتَ إلى فاروبانك مستخدماً مفتاحك الخاص وأخذتَ وشاح أختك وأحمر شفاهها وجمّلت وجهك بطريقة مسرحية، ثم عدت إلى فندق ستاغ وأظهرتَ نفسك للسيدة العجوز التي كانت تجلس في قاعة النزلاء، ثم صعدتَ إلى الحجرة رقم ٥ وعندما سمعتَها تصعد الدرَج خرجتَ ثم أسرعت في التراجع إلى الحجرة لتقول: هيا اخرجي من هنا!

وتوقف بوارو ثم قال: لقد كانت خطة بارعة.

صاحت لين: أهذه هي الحقيقة يا دافيد؟

فقال دافيد وعلى فمه ابتسامة عريضة: أنا أعتبر نفسي مقلداً بارعاً للنساء. آه، لو رأيتِ وجه تلك العجوز الشمطاء!

فسألته لين بحيرة: ولكن كيف تكون هنا في العاشرة وتتصل

بي من لندن في الحادية عشرة؟

فانحنى دافيد هنتر لبوارو قائلاً: الإيضاحات يقوم بها هيركيول بوارو، الرجل الذي يعرف كل شيء. كيف فعلتُ ذلك؟

- هذا أمر بسيط، فقد اتصلتَ بأختك في شقتك من هاتف عمومي وأعطيتَها تعليمات معيَّنة، وفي الحادية عشرة وأربع دقائق تماماً طلبت روزالين الاتصال برقم ٣٤ وارمسلي فيل، وعندما رفعت الآنسة مارشمونت الهاتف سألَتها عن رقمها، وحين تأكدَت من الرقم قالت: "مكالمة من لندن"، أو ما أشبه ذلك.

أومأت لين برأسها موافقة فتابع بوارو قائلاً: ثم أعادت روزالين السماعة وأنهت المكالمة.

ثم نظر إلى دافيد وأضاف: وفي نفس الوقت طلبتَ أنت الرقم ٤٣، وعندما تم الاتصال ضغطتَ الزر وقلتَ "لندن على الخط" بصوت مغاير لصوتك ثم أخذتَ تتكلم، وفترة دقيقة أو دقيقتين ليست بالأمر الغريب في الاتصالات الهاتفية في هذه الأيام، وهكذا اعتقدَت الآنسة مارشمونت أنك تطلبها من لندن.

قالت لين بهدوء: أهذا هو سبب اتصالك بي يا دافيد؟

جعلته رنّة صوتها ينظر إليها بحدة، ثم أدار رأسه قائلاً: لا شك أنك تعرف كل شيء، وأصدقك القول لقد كنتُ في حالة فزع وكان عليّ أن أدبر شيئاً، وبعد أن اتصلتُ بلين سرت مسافة خمسة أميال إلى دازلبي وفي الصباح ركبتُ القطار الذاهب إلى

لندن وصعدت إلى الشقة حيث عبثت بفراشي ليبدو وكأنني نمت فيه. ولكن لم يدُر بخلدي قط أن رجال الشرطة قد يتهمونني بارتكاب الجريمة، وبطبيعة الحال لم أكن أدري مَن الذي قتله، ولم أكن لأتصور أحداً يريد قتلَه، فلم يكُن هناك من لديه الدافع لقتله غيري أنا وروزالين.

فقال بوارو: لقد كانت الصعوبة في القضية هي الدافع؛ فقد كان لديك أنت وأختك دافع لقتل آردن كما كان لدى كل فرد من أفراد عائلة كلود دافع لقتل روزالين.

قال دافيد بحدة: لقد قُتلت إذن ولم يكُن انتحاراً؟

- نعم، لقد كانت جريمة محكمة مدبرة؛ فقد استُبدلت إحدى كبسولات البروميد المنوّمة بأخرى تحوي مورفيناً.

قال دافيد وقد قطب جبينه: لا بد أنك تعني ليونيل كلود؟

- لا. لقد كان في إمكان أيّ فرد من أفراد عائلة كلود أن يفعل ذلك، فالعمة كاثي كان بإمكانها أن تعبث بالحبّات قبل أن يحملها زوجها معه من العيادة، وهنا رولي الذي ذهب إلى فاروبانك يحمل إلى روزالين الزبد والبيض، كما ذهبت السيدة جيريمي كلود، وحتى لين مارشمونت، وكل واحد منهم لديه الدافع.

فصاح دافيد قائلاً: ولكن لين لم يكُن لديها دافع.

قالت لين: كل منا لديه دوافعه، أليس هذا ما تعنيه؟

أجاب بوارو: نعم، وهذا ما جعلها قضية صعبة. لقد كان

لدى دافيد هنتر وروزالين دافع لقتل آردن ولكنهما لم يقتلاه، وجميع أفراد عائلة كلود كان لديهم الدافع لقتل روزالين ومع ذلك فلم يقتلها أحدهم... لقد كانت هذه القضية منذ البداية مركَّبة تركيباً خطأ. لقد قُتلت روزالين بيد الشخص الذي كان يضره موتها.

ثم أدار رأسه قليلاً وقال: أنت الذي قتلتها يا سيد هنتر.

فصاح دافيد قائلاً: أنا؟ ولماذا أقتل أختي بالله عليك؟!

- لقد قتلتها لأنها لم تكُن أختك، فقد قُتلت روزالين في أثناء الغارة على لندن منذ سنتين، أما المرأة التي قتلتَها فهي خادمة أيرلندية صغيرة اسمها إيلين كوريغان، وقد وصلتني صورتها من أيرلندا اليوم.

ثم أخرج الصورة من جيبه وهو يقول ذلك، وبسرعة البرق اختطفها دافيد من يده وقفز نحو الباب ومرّ منه وصفقه بشدة خلفه واختفى، فزأر رولي بغضب وأسرع خلفه، وبقي بوارو ولين وحدهما.

صاحت لين: هذه ليست الحقيقة، لا يمكن أن تكون هذه هي الحقيقة!

- بل هي الحقيقة، وقد رأيتِ نصف الحقيقة عندما مر بخاطرك أن دافيد هنتر ليس أخاها، فقد ماتت روزالين في أثناء الغارة التي ذهب ضحيتها جوردون كلود واثنان من الخدم، ولم ينجُ من الانفجار إلا دافيد وتلك الفتاة. وتصوري شعور دافيد في تلك اللحظة، فقد كان على وشك أن يُحرَم من الحياة الهنيئة الرغدة، ولكن خاطراً مر برأسه عندما رأى تلك الفتاة (وكانت في

سن أخته) فاقدة الرشد من جرّاء الانفجار، وكان بينه وبينها حب سابق يجعله واثقاً من أنه في إمكانه جعلها تفعل ما يريد.

ثم أضاف بجفاء دون أن ينظر إلى لين: كانت له طرقه مع النساء. وكان انتهازياً فلم يدع فرصة الإثراء تفلت من بين يديه، فتصنّع التعرف على الفتاة بعد الغارة على أنها أخته، وعندما عادت إلى صوابها وجدته بجوارها، وكان أن أغراها لكي ترضى أن تقوم بالدور الذي اختاره لها. ولكن تصوّري فزعهما عندما وصلهما أول خطاب تهديد. وكم من مرة سألت نفسي: هل هنتر من النوع الذي يدع شخصاً يبتزّ أمواله بطريق التهديد وبهذه السهولة؟ ويبدو أنه لم يكن واثقاً مما إذا كان مهدّده هو أندرهاي حقاً أم لا. ولكن كيف يكون غير متأكد؟ ألا تستطيع روزالين أن تخبره ما إذا كان الرجل هو زوجها السابق أم لا؟ لقد أسرع بإرسالها إلى لندن قبل أن تتمكن من رؤية الرجل لسبب واحد وهو أنه كان يخشى أن يراها الرجل، فلو أن الرجل كان أندرهاي حقاً فلا يجب أن يكتشف أن روزالين لم تكُن روزالين على الإطلاق، ولم يجد هنتر أمامه سوى طريق واحد وهو أن يدفع ما يطلبه مهدّده ليبقيه على صمته ثم يسافران إلى أمريكا.

وفجأة قُتل مبتزّ الأموال الغريب، وتعرف عليه الميجور بورتر على أنه أندرهاي ووجد دافيد هنتر نفسه في مأزق حرج، وزاد الطين بلة أن الفتاة أخذت أعصابها تنهار وبدأ ضميرها يعذبها، ولا بد أنها كانت ستعترف إن عاجلاً أو آجلاً مما كان يعرضه للسجن، وزيادة على ذلك كانت طلباتها منه مملة، وكان قد وقع في حبكِ فقرر أن ينهي متاعبه، ولكي يفعل ذلك فيجب أن تموت إيلين، فوضع لها المورفين في الدواء الذي وصفه لها

الدكتور كلود، وفي نفس الوقت كان يبثّ فيها الرعب من آل كلود، وكان دافيد هنتر واثقاً من أن الاتهام يتجه إليه فكان موت أخته معناه أن تعود أموالها إلى عائلة كلود.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخل المفتش سبنس قائلاً: حسناً، كل شيء على ما يرام وقد قبضنا عليه.

فقالت لين بصوت خافت: وهل قال شيئاً؟

– قال إنه يستحق ما هو فيه، وإنه لمن الغريب أنهم يتكلمون في اللحظة غير المناسبة دائماً. وقد حذرناه بطبيعة الحال، ولكنه قال: كفّ عن هذا أيها الرجل، فأنا مقامر وأعرف أنني خسرت اللعبة الأخيرة.

همهم بوارو قائلاً: يأتي في حياة الإنسان مدٌّ لو أنه اغتنمه لقاده التيار إلى الثروة، ولكن قد يأتي الجَزْرُ فيجرفه التيار بعيداً عن الشاطئ، إلى مجاهل المحيط.

* * *

# خاتمة

كان ذلك في صباح الأحد عندما استجاب رولي كلود لطرقة على باب كوخه فوجد لين تنتظر في الخارج. وارتدّ خطوة يقول: لين؟

- هل أستطيع أن أدخل يا رولي؟

خطا إلى الخلف فمرّت به وأخذت طريقها إلى المطبخ، فنزعت قبعتها ووضعتها على حافة النافذة قائلة: ها أنا أعود إلى منزلي يا رولي.

- ماذا تعنين بالله عليك؟

- أعني ما أقول، فها أنا أعود إلى منزلي. إن مقامي هنا معك، وقد كنتُ حمقاء لأنني لم أعرف ذلك من قبل. ألا تفهم يا رولي؟

- أنتِ لا تدرين عمّ تتحدثين يا لين، فقد حاولت أن أقتلك.

- أعرف ذلك.

واكتأب وجهها قليلاً ورفعت أصابعها إلى عنقها وأضافت:

في الواقع أنا لم أتبين كم كنتُ حمقاء إلا عندما مر بخاطري أنك قد حاولت قتلي.

- لا أفهم.

- آه، لا تكن غبياً. لقد كنتُ أريد أن أتزوجك دائماً، أليس كذلك؟ ثم تباعدنا، فقد كنتَ تبدو أليفاً وديعاً فشعرت بأن الحياة معك سوف تكون مملة وشعرت بميل نحو دافيد لأنه كان خطيراً جذاباً. ولكن شيئاً من هذا لم يكُن صحيحاً؛ فعندما قبضتَ بيدك على عنقي وقلت أنه إن لم تنلني فلن ينالني غيرك... حسناً، في تلك اللحظة عرفت أنني سأكون زوجتك، ولسوء الحظ بدا أنني قد عرفت ذلك متأخرة، لكن لحسن الحظ أن وصل السيد بوارو وأنقذ الموقف في اللحظة المناسبة.

حرّك رولي رأسه قائلاً: محال يا لين، فقد قتلتُ رجلين.

فصاحت قائلة: هراء، لا تكن أحمق! فلو أنك تشاجرت مع رجل قوي وضربته فسقط على الأرض واصطدم رأسه بحاجز فليست هذه جريمة.

- لقد قُتل عن غير عمد، وقد يُحكم على المرء من أجله بالسجن.

- هذا محتمل، وإذا حدث هذا فستجدني على باب السجن عندما تخرج.

- وهناك بورتر، فأنا المسؤول عن موته.

- لا، لستَ كذلك، فقد كان رجلاً بالغاً مسؤولاً عن

تصرفاته وكان في إمكانه أن يرفض عرضك، فلا يمكن أن يلوم الإنسان شخصاً آخَر على شيء فعله بنفسه وهو يعرف ماذا يفعل. لقد اقترحتَ عليه عملاً غير شريف فقبله، ثم تولاه الندم وآثر أن يترك هذا العالَم بهذه الكيفية. لقد كان ضعيف الشخصية.

وهز رولي رأسه بعناد: لا فائدة يا فتاتي، لا يمكنك أن تتزوجي نزيل سجون.

- لا أظن أنك ستذهب إلى السجن، فلو أن هذا كان سيحدث لكانت الشرطة قد أرسلت في طلبك منذ مدة.

فأخذ رولي يحملق إليها ثم قال: سحقاً لكل هذا، قتل عن غير عمد رشوة بورتر...

- وماذا يجعلكَ تعتقد بأن رجال الشرطة يعرفون شيئاً عن هذا أو سيعرفون أبداً؟

- لأن ذلك الشخص بوارو يعرف كل شيء.

- إنه ليس من رجال الشرطة. ودعني أخبرك ماذا يظن رجال الشرطة: إنهم يعتقدون أن دافيد هنتر قتل آردن كما قتل روزالين، وخاصة بعد أن تأكدوا من أنه كان في وارمسلي فيل في تلك الليلة. ولن يواجهوه بتلك التهمة لأن ذلك غير ضروري، ولأنهم يعتقدون أنه هو الذي أقدم على تلك الجريمة فلن يبحثوا عن شخص آخر.

- ولكن ذلك الشخص بوارو...

- لقد أخبر المفتش بأن الأمر كان حادثاً عارضاً، وقد

بلغني أن المفتش ضحك لذلك كثيراً. وإذا أردتَ رأيي فأنا أعتقد أن بوارو لن يخبر أحداً أبداً، فهو شخص لطيف.

- لا يا لين، لا يمكنني أن أدعك تخاطرين بمستقبلك، وأكثر من ذلك فأنا... حسناً، هل يمكنني أن أثق بنفسي؟ ما أعنيه هو أنكِ لن تكوني في أمان.

- ربما لا، ولكن كما ترى يا رولي فأنا أحبك، وقد مرّت بكَ أوقات عصيبة، كما أنه لا يهمني كثيراً أن أكون في أمان.

* * *

(تمت)